

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة

آفاق أدبية

التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد

آفــاق أدبيـــة

كتاب غير دوري يعني بالدراسات الأدبية

يصدره قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

بإيتاي البارود – جامعة الأزهر

الإصدار الخامس

شهر رجب ١٤٢٤ هـ = شهر سبتمبر ٢٠٠٣م

رئيس مجلس الإدارة

أ.د / أحمد الحفناوي

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د / صفوت زيد

مدير التحرير

أ.د / رزق داود

إشراف

د/ يوسف عبد الوهاب

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة
آفاق أدبية
التي يصدرها قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود
جامعة الأزهر
إعداد وإشراف
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
رئيس قسم الأدب والنقد

آفـــاق أدبيـــــة

كتاب غير دوري يعني بالدراسات الأدبية

يصدره قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية

بإيتاي البارود – جامعة الأزهر

الإصدار الخامس

شهر رجب ١٤٢٤ هـ = شهر سبتمبر ٢٠٠٣م

رئيس مجلس الإدارة

أ.د / أحمد الحفناوي

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د / صفوت زيد

مدير التحرير

أ.د / رزق داود

إشراف

د/ يوسف عبد الوهاب



بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

بقلم أ.د/ أحمد إبراهيم خليل
رئيس قسم الأدب والنقد

من أشد المواقف استنزافا لآلام النفس وأحزانها أن يجد المرء نفسه وقد فقد شقيقا لروحه وأخا حبيبا وصديقا كريما وزميلا مثلا في التعاون والتفاهم ، يجد المرء نفسه بعد هذا الفقدان المبين مطالبا أن يكتب كلمات في تأبينه ثم مطالبا أن يضع كلماته بعدما وضع نفسه مكرها في الموضع الذي كان محجوزا ولائقا لأخي النفس وشقيق الروح ، وهاأنا ذا لا أرثي في الأستاذ الدكتور: صفوت زيد أستاذا فاضلا بالكلية ورئيسا لقسم الأدب والنقد فيها فحسب وإنما أرثي فيه عالما محققا وأديبا مرهفا وداعية مخلصا ودؤوبا لا يمل العطاء من حشاشة نفسه وذوب مهجته ، ولا يكل مع كثرة أعبائه ووفرة ما كان يحمل من مسئوليات ويواجه من أمور تنوء بها العصبة أولو القوة فلا يهدأ حتى يطمئن إلى حل لمشكلة كل مشتك ويقف على تذليل كل عقبة أمام زملائه أو أبنائه في القسم والكلية وإزالة كل صعوبة تحول دون أن تمضي مواكب العلم والدعوة والنور في سبيلها إلى غايتها .

هذا هو الأستاذ الدكتور: صفوت كما أراه وكما يراه جميع إخوانه وزملائه وطلابه والعارفين به، بل هذا هو أقل ما يمكن أن يقال في التنويه بكريم خلاله وفاضل سجاياه ولئن كانت مأساة الإحساس بألم الفقد تتجسد بالأماكن والمواقف والمناسبات التي تجدد ذكرى الفقيد ،تلك الذكرى التي لا تنمحي فإن هذه المجلة التي بين يدي القارئ الكريم إنما هي واحدة من تلك المناسبات المجددة لشجون لا تهدأ وأحزان لا تبلى فما هذه المجلة سوى واحدة من أفكاره الطيبة التي سمحت الظروف بعد جهد مخلص وسعى حثيث منه – رحمه الله – لإخراجها إلى حيز الوجود لتحريض الأخوة والزملاء على تبنيها والكتابة لها ،وليس من قبيل المبالغة أن أقول إنه لولا حماس الدكتور صفوت وحرصه واهتمامه ما أمكن لهذه المجلة أن تستمر وتتطور عددا بعد آخر مما يجعل بقاءها عاما وراء عام واحدا من أفضل السبل لتجديد ذكراه وإحياء

المثل والقيم والطموحات التي كان -رحمه الله رحمة واسعة -يتمناها للقسم والكلية والجامعة الغراء التي نعتز جميعا بالانتماء إليها، والاستمرار في إصدار "الآفاق الأدبية" وتأسيس مكتبه قسم الأدب والنقد الخاصة ومواصلة احتضان الأساتذة لأبنائهم طلاب المرحلتين العالية والعليا وداوم روح المودة والتعاون والإخاء بين الزملاء وروح الأبوة الحانية العطوف تجاه الطلاب إلى عشرات من المثل الرفيعة والأخلاقيات السامية التي كان يمثلها شخص فقيد القسم والكلية والجامعة الأزهرية والدعوة الإسلامية على السواء ٠

أما بعد ٠٠ فهذا العدد وقد كان أستاذنا الراحل قد أشرف على تحرير موضوعاته قبل وفاته ارتأي الأخوة القائمون بأمر المجلة أن يبقوه على الصورة التي تركه عليها ، فليس فيه من تغيير إلا القدر الذي لابد منه والذي اضطررنا إليه باكين معتصري القلوب ، وفيما عدا ذلك سوف يرى القارئ افتتاح العدد بمقالة الأستاذ الدكتور: صفوت وعنوانها " شخصية أبو طالب في منظور السحار " وقد كتبها تلبية لرغبة أسرة التحرير في أن تدور مقالات العدد حول الأدب الإسلامي وفي مجاله وسنرى في مقال الدكتور: صفوت نموذجا لرؤيته في القائمين على الفكر الإسلامي المستنير والتعبير الأدبي القوي ،الفكر الإسلامي الراسخ الأصول والمتجدد دائما بتجدد أحوال المجتمعات وظروف حياتها المتغيرة يوجهها دائما التوجيه الأمثل ويقودها نحو شاطئ النجاة والتعبير الأدبى الواعي بأحدث الإنجازات الجمالية التي تضمن للنص مزيداً من الطلاقة وقوة التأثير والثراء والعمق ٠

وفي مقال " عن الأدب الإسلامي من ينهض بهذه الراية ؟"تساءل كاتب هذه السطور عن استحقاق الانشغال بمتطلبات حرفة الكتابة التي يفرضها النهج الإسلامي هل يكون للأدباء أم للنقاد ؟ والواقع أننا لو شغلنا بالفريق الأول فنخشى أن ينتج ذلك علوا في النبرة وخطابية في الأسلوب تحول الإبداع إلى لون من أدب الدعاية والإعلانات الذي سرعان ما يقابل بالملل والاستهجان ،والذي يفقد الأديب حيوية انطلاق خياله في حرية لا تقيدها غير موهبته اللماحة وحساسيته المرهفة ومن ثم فالنقاد في رأي الكاتب هم الذين ينبغي أن ينهمكوا في إرساء قواعد الأدب الإسلامي بالبحث عن خصائصه النظرية وعن ملامحه في وجوه أعمال الكتاب الإبداعية وإثراء المكتبة العربية بذخيرة من الكتابات في هذا المجال يقرؤها المبدعون

ويتمثلونها ويتفاعلون معها ومع خبراتهم الحياتية فيبدعون أدبا إسلاميا صادقا بعفويته وتلقائيته و اجتنابه لنبرة الردع والتحريض ٠

ويهدي إلى المجلة الأستاذ الدكتور:محمد سعد فشوان مقاله " بين اللغة و الأدب و التفسير " فيستعرض فيه مدى تفاعل هذه الحقول المعرفية العريقة وإخصاب بعضها بعضا و استفادة كل منها من خبرة صاحبه ٠

كما يهدي الأستاذ الدكتور: السيد مرسي أبو ذكرى إلى المجلة مقاله " إسلامية الفن المسرحي – نحو تأصيل المسرح الإسلامي " فينبهنا معاشر المثقفين الإسلاميين إلى ضرورة الإفادة من هذا الجهاز الفني الجماهيري القوي التأثير الذي يعد في العصر الحديث واحدا من أهم مراكز نشر الثقافة و التوجيه وتأصيل القيم والأفكار و التأكيد على اتساع الساحة الحضارية للمجتمع الإسلامي ٠

وأما الدكتور: عبد الرازق حويزي وهو أحد كوكبة شباب علماء الكلية المرموقين فينقلنا في مقاله إلى موضوع طريف وهو " أثر قرّاء القرآن الكريم و المبتهلين في اللغة العربية " فيذكرنا بواجب لا يصح أن ينساه العلماء المتخصصون يتمثل في رصد معالم اللغة العربية في صورتها العصرية ٠

وفي مقالة " مأساة القدس في الشعر النزاري " يمارس الدكتور: صبري أبو حسين مهمة الناقد الإسلامي في حين يتناول موضوعا جديرا أن يهتم به الكتاب والقراء ويبلور أبعاده وملامحه في شعر نزار قباني ٠

وعلى طريقة الدكتور: صفوت في مقاربته من تجربة السحار في الإفادة من السيرة النبوية يكتب الأستاذ محمد أبو أحمد عن " أبو لهب : موضوعا للشعر الإسلامي " فيتناول قضية مشابهة ولكن بأسلوب خاص ومنهج متميز يؤكد أصالة شخصيته وقلمه وتفكيره ٠

ويتساءل الدكتور : أنورفشوان "قصيدة النثر إلى أين ؟ " قسر شجون مراقب حركة الشعر العربي الحديث في العقدين الأخرين التي أخشى أن أقول إنها لا تبشر بخير كثير ٠

وأخيرا يتحفنا الدكتور : يوسف عبد الوهاب مع تواضعه الجم بدرة ثمينة من كنوز تراثنا العربي الخالد فيعرض علينا المختار من كتاب "صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم " تأليف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ . فيكفينا القيام بفريضة الرجوع الواجب بين الحين والآخر إلى النصوص الأدبية القديمة والنظر إليها بعين الخبرة والذائقة العصرية وهو لا يكتفي بتقديم النص التراثي في إطار من الجمود والتحجر بل يجري معه حوارا خصبا مشعا بالرؤى والأفكار المتفتحة بعد أن يتم عملية تقريبه إلى القارئ الحديث .

ويلاحظ القارئ العزيز حرص هيئة التحرير على تزيين جنبات المجلة بمجموعات من قصائد الشعر العصماء التي تعيد إلى نفوسنا التفاؤل وتطمئننا على أن جذوة الروح الشعرية في الوجدان العربي لن تنطفئ مهما هبت عليها من رياح وعواصف .

هذا وقبل أن نطرح موضوعات المجلة وقصائدها بين يدي قرائها الأحباء ندعوهم إلى مشاركتنا في الإعداد للعدد القادم الذي يقترح الدكتور: يوسف عبد الوهاب صاحب الجهد السخي في إخراج المجلة على هذه الصورة الطيبة أن يجعل عددا تذكاريا مهدى إلى روح المرحوم الأستاذ الدكتور: صفوت يوسف زيد تقدم فيه دراسة ببليوجرافية وافية بأعماله المكتوبة على مختلف أنواعها جامعية كانت أم دعوية أم صحفية وتنعقد الدراسات المعرفة بها والمحللة لها والكاشفة عن خصائص فكر الأستاذ الدكتور ومميزات أسلوبه ، ولعل هذا العدد المقترح أن يكون لمسة وفاء متواضعة يقدمها إلى الراحل العزيز إخوانه وأحباؤه وتلامذته .

شخصية "أبو طالب" في منظور السحار

أ.د/ صفوت زيد

كثيرة تلك التساؤلات الحائرة التي تفرض نفسها فرضاً على مائدة الفكر كلما حاولنا الاقتراب من قصة السيرة، وتجولنا بين أفيائها العطرة.

نرقب بشئ من الحذر والخشية المواقف والأحداث، وحركة الشخصيات التي عاصرت الرسول صلى الله عليه وسلم، وعايشت حركة الدعوة من أول يوم، ووقفت إلى جوار صاحب الدعوة مدافعة عنه بكل ما كانت تملك من قوة وبأس. ولكنها على الرغم من كل ذلك لم تعلن إسلامها لله. ولم تنطق بكلمة التوحيد.. فلماذا إذن كانت تدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وما الذي حملها على الوقوف بجانبه على الرغم مما أصابها من عنت وظلم..؟ .. أكان موقفها هذا بدافع العصبية العربية.. أم كانت له دوافع أخرى. مهدت له وشجعت عليه؟ إلى غير ذلك من التساؤلات الحائرة التي ترتسم على ذهن الباحث إذا ما حاول تدبر الأمر بشئ من التمحيص والكشف.

ولعل هذه التساؤلات وغيرها تطرح نفسها في مواجهة شخصية أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم. أكثر من غيره ممن كانت لهم صلة مباشرة بالرسول.. وذلك لأن أبا طالب كان على عهد الوفاء بوصايا أبيه عبد المطلب منذ تولى كفالة محمد صلى الله عليه وسلم ورعايته، وقد عاش رسول الله في ظل تلك الكفالة ناعم البال قرير العين. لم يجد من عمه جفاء ولا غلظة. بل رحمة ورأفة وتفضيلاً على سائر ولده. لما كان يراه من محمد صلى الله عليه وسلم من آيات العظمة والجلال. في خلقه وخلقه، في نومه ويقظته، في سكونه وحركته، في كل ما كان ينفرد به من دون الناس من سمو ورفعة.

ومما لاشك فيه أن أبا طالب قد تناهى إلى سمعه ما تردد في كل مكان وعلى كل لسان من بشائر المجد المحمدى المرتقب، وسعد به كما سعد قبل ذلك به عبد المطلب. بل إن أبا طالب قد باشر بنفسه أمر البشائر ممثلاً في ذلك الحوار الذي دار بينه وبين الراهب بحيرا عن أمر محمد ونبوته المنتظرة.. وأجابه إلى طلبه عندما ألح عليه في إخفاء محمد عن اليهود حتى لا ينكشف هذا الأمر لديهم، فيتعرضون له بالسوء والأذى. إلى غير ذلك مما باشره أبو طالب وفطن إليه من معطيات النور المحمدى الذي عطر النفوس والقلوب، وهيأها استعداداً ليوم عظيم.

وعندما يأتى ذلك اليوم وتأتى النبوة والدعوة إلى التوحيد، ويتعرض محمد صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك إلى كيد الأعداء ومكرهم. نجد أبا طالب يقف إلى جواره مسانداً وراعياً.. ولكنه لا يؤمن به ولا بدعوته.

وقد تناول كتاب السيرة والحديث من القدامى هذا الموقف بالرصد والتسجيل من خلال ما وصل إليهم في هذا الشأن من أحاديث صحيحة ومرويات متواترة وغير متواترة ووقفوا عند حدود ما روى دون أن يتوغلوا في تصورات ذاتية قد تخطئ وقد تصيب.

فقد أورد ابن كثير - رحمه الله- ما رواه ابن إسحاق في هذا الشأن، وما روى عن البخارى ومسلم، من دخول النبى صلى الله عليه وسلم على عمه في مرض موته وعنده أبو جهل وجماعة من قريش. وطلبه منه أن ينطق بكلمة التوحيد.. حتى يشهد له بها يوم القيامة. فكان أن قال أبو طالب:-

"لولا أن تعيرنى قريش، يقولون ما حمله عليه إلا فزع الموت لأقررت بها عينك. ولا أقولها إلا لأقر بها عينك. فأنزل الله عز وجل ﴿**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾[1]

---

(١) سورة القصص آية [٥٦].

ثم أورد بعد ذلك ما قاله عبدالله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى وقتاده: أنها نزلت في أبى طالب عندما عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: " ﴿لا إله إلا الله﴾ فأبى أن يقولها. وقال. هو على ملة الأشياخ وكان آخر ما قال. هو على ملة عبد المطلب."[١]

وحدد ابن كثير موقفه الذي يستريح إليه بقوله " لم يقدر الله له الإيمان. لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة. والحجة الناطقة البالغة الدافعة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها"[٢]

وجاء المحدثون، فسار المعتدلون منهم عند حدود ما ورد في كتب السيرة القديمة في أغلب الأحيان. وإن كان ذلك لم يمنع بعضهم من الاجتهاد في التأويل والتفسير وصولاً إلى ما يستريح إليه. مثلما فعل الشيخ محمد الخضرى في كتابه "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" فقد ذكر أن أبا طالب كان يمنع رسول الله من أذى أعدائه، "ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه، لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته... وعدم إسلامه هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير جـ٢ صـ ١٢٤ وما بعدها- وأيضاً تفسير القرآن العظيم. جـ٣ صـ٣٩٤ وما يليها.

(٢) السيرة لابن كثير. جـ٢ صـ١٣٢.

يخفي. فإنهم لو بادروا باتباعه لقيل: قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم، فجاءوا بهذا الأمر المفترى، ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم الغرباء عنه، الذين ليسوا من عشيرته.. بل من أعدائها أحياناً كعثمان بن عفان من بنى أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها، اللهم إلا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة".[١]

فالخضرى كما وضح من النص السابق حاول الاجتهاد في تفسير الموقف، فأعطى أبا طالب حقه من الإنصاف، وكشف عن دوره في حماية الدعوة، وأثبت عدم تكذيبه للرسول فيما جاء به، ثم اعتذر عنه في عدم إعلانه كلمة التوحيد التي هى أساس العقيدة محاولاً تبرير مسلكه، بما يخفف من حدة الإنكار ويحفظ له حسن نواياه.. وكان الخضرى في هذا على درجة عالية من التوفيق تحسب له.

أما السحار فقد جاء بتصور خاص، ورؤية ذاتية للموقف تختلف كثيراً عما قال به القدماء والمحدثون على السواء، في بعض جوانب المعالجة.

---

(١) نور اليقين. صـ٦٥ "بتصرف يسير".

وقد تعرفنا على ملامح تلك النظرة الخاصة أول الأمر عند تعليقه على موقف أبى طالب من نبوءة الراهب "بحيرا" حيث بدا غير مستريح النفس لما قاله الراهب عن محمد ونبوته المنتظرة. لأنه لا يستطيع أن يتصور "أن إنساناً يستطيع أن يسمو بإنسانيته ليأتى إليه الخبر من السماء فينبئ أهل الأرض".[١]

وما ذلك- في رأى السحار- إلا أن أبا طالب "كان من قوم لم يبعث الله إليهم رسلاً ولا أنبياء.. فكان عسيراً عليه أن يقر حقيقة قدرة البشر على الاتصال بالله، ولم يكن قد سمع بعد باصطفاء الله من يشاء من الملائكة والناس ليكونوا رسله إلى الإنسانية. يحملون أوامره ونواهيه لصلاح عباده.. فأعرض عن نبوءة صاحب الدير"[٢].

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين، ودعا الناس إليه لم يؤمن أبو طالب به على الرغم من مساندته لابن أخيه ودفاعه عنه، بل إنه شجع ابنه علياً على لزوم محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به لأنه لم يدعه إلا لما فيه الخير كل الخير. وبعد على شجع جعفراً على السير في الطريق نفسه وطلب منه أن يصل جناح ابن عمه.

---

(١) اليتيم. ص١٥٥.

(٢) المصدر والصفحة.

وقد وردت هذه الأخبار في كتب السيرة القديمة. ولم يجد السحار بأساً في الاستعانة بها في سرده القصص، لكنه ظل على تصوره لشخصية أبى طالب ورفضه الإيمان بالدعوة الإسلامية التي تحمل مسئوليتها ابن أخيه.

نجد ذلك التصور واضحاً في عرض كاتبنا لموقف أبى طالب من إسلام على.. فقد دهش عندما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاته المعهودة في أول الدعوة وخلفه على.. فجعل "ينظر في دهش حتى إذا ما أتما صلاتهما قال لابنه:

- ما هذا الذي أنت عليه؟

فقال على:

- يا أبت، آمنت بالله ورسوله، وصدقت ما جاء به، ودخلت فيه.

فالتفت أبو طالب إلى أبى القاسم وقال:

- يا ابن أخى، ما هذا الذي أراك تدين به؟

فقال محمد صلى الله عليه وسلم وهو يطمع في إسلام عمه الذي يحبه من كل قلبه:

- هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثنى الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إلى الله تعالى وأعاننى عليه..

كان أبو طالب يرى أن الله أجل من أن يبعث بشراً رسولاً فقال:

- إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه.

ثم التفت إلى ابنه على ولم ينهره. بل قال:

- أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه. (١)

إنه يوجه ابنه إلى الخير ولا يتوجه هو إليه.. والخير الذي يعنيه محدد بما ورد في قول النبى عن دين الله الذي أرسل به الرسل ودعا إليه إبراهيم الذي ينتسبون إليه، ويعتزون به، فلماذا إذن لم يؤمن به، وقد عرف أن ما جاء به هو الخير..؟

إن هذا التساؤل قد ألح على ذهن الكثيرين ممن عاصروا أبا طالب، وشاهدوا مواقفه مع الدعوة وصاحبها.. حتى ابنه جعفر كما أورد السحار

---

(١) دعوة إبراهيم. ص١٤١ وما بعدها.

كان متحيراً في تفهم موقف أبيه، وكثيراً ما كانت في ذهنه تساؤلات قلقة، تبحث عن إجابات شافية تطمئن نفسه، وتريح خاطره.

ففي عماية صبح يوم من الأيام تسلل من آمن بالدين الجديد ليجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة مستخفين "وخرج من دور بنى هاشم جعفر بن أبى طالب في خطى ثابتة، وأبو طالب يعلم بإسلامه.. بل هو الذي أمره أن يصلى مع ابن عمه.. فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعلياً يصليان، وعلى عن يمينه. فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك. فصلي عن يساره.. وكان جعفر في حيرة من أمر أبيه. فهو لم يثر لما عثر ذات يوم على النبى عليه صلوات الله وسلامه وعلى ابنه "على" وهما يصليان في الشعب مستخفين.. بل قال لابنه: إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

فلماذا لا يتبع أبو طالب ابن أخيه..؟

أحقيقة إنه يخشى أن تقول نساء قريش إن شيخ بنى هاشم قد أسلم قياده إلى فتى من فتيان بنى هاشم.. أم لأنه كان يؤمن بأن الله أجل من أن يبعث رجلاً رسولاً..؟[1]

---

(١) المصدر السابق: ص١٧٩ وما بعدها.

ويبدو أن هذا التساؤل الأخير قد كان محل اقتناع السحار فأبرزه وجلاه وانتصر له في كل ما عرض حول أبي طالب وعنه.

ويتضح ذلك جلياً من قوله: "إن أبا طالب كان يحس راحة لدعوة ابن أخيه إلا أن فكرة أن الله أكبر من أن يخاطب بشراً كانت مستحوذة عليه، ووقرت في عين ضميره.. كان راضياً عن جوهر دعوة محمد- عليه السلام- وما فيها من دعوة إلى مكارم الأخلاق، وكان إعجابه بابن أخيه لا يحد.. إلا أنه كان مخلصاً مع نفسه، ومع تنزيهه لله عن أن يتصل بالبشر أو يوحى إليهم وكان كلما جلس إلى ابنه :على" يزداد حيرة.. فمن أين "لعلى" كل هذا الفهم. ومن أين له التفقه في الدين وهو في مثل سنه وحداثته..؟ ولو سمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لعلى" "إن الله أمرنى أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعى، وحق على الله أن تعى" ولو آمن بما قال ابن أخيه لزال عجبه، ولوجد راحة نفسية للقلق المواربين جنبيه".(١)

فالسحار بهذا النص يؤكد حقيقة ما استراح إليه بشأن رفض أبى طالب دعوة النبى وعدم إيمانه بها. وهى كما نرى ليست فكرة مبتكرة ولا كشفاً جديداً في مجالها.. ولكنها تمثل جانباً من تعنت المشركين في مكة عندما كانوا يواجهون بالدعوة في جهادها لانتزاع ما ران على قلوبهم من

---

(١) المصدر ص٢٥٨.

شرك.. كانوا يديرون ظهورهم إليها غير قانعين بها. لأن رسالة السماء- في زعمهم لا يمكن أن تأتى إليهم إلا بواسطة ملك.. أما أن يدعيها لهم أحد من البشر فهذا ما لا يعتقدون فيه ولا يقرون به.

وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف في كثير من آياته. نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً.**﴾ [1] وفي قوله جل جلاله: ﴿**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب.**﴾ [2]

فقد أنكروا نبوة الرسول البشر، وتخيلوا أن النبى لابد أن يكون فوق البشرية في القدرة على الخوارق، ومعرفة الغيب، وتسخير الأكوان، والخلود، والصعود إلى السماء، واستنزال الملائكة.. فلما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم بشراً مثلهم يقرر بلسان القرآن مثليته البشرية، ويرد عليهم حينما يطلبون منه الخوارق بأنه ليس إلا بشراً رسولاً، عجبوا وجحدوا. [3]

ولما كان هذا التصور خاطئاً.. رده القرآن عليهم، وعنفهم، مبينا أن الله جل جلاله قد اصطفي رسله وأنبياءه من البشر لحمل أمانة السماء إلى

---

(١) سورة الإسراء. آية [٩٤].

(٢) سورة ص. آية [٤].

(٣) انظر: سيرة الرسول. محمد عزة دروزة ط١ ص٢٧.

الأرض وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً بينهم. مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** ﴾(١)

فالسحار بتقديره لموقف أبى طالب في رفضه الإيمان بالدين لهذا السبب قد أدرجه ضمن مجموعة الكافرين الذين تخيلوا النبوة على صورة ليس في مقدور البشر حمل أمانتها وتبليغها.

وفي رأيي أن هذا التصور وإن كان يمثل جانباً من جوانب التعنت في رد الدعوة وعدم قبولها لدى جماعة من مشركى مكة إلا أنه لا يتطابق مع فقه أبى طالب ومنطقه وواقعه ولم يكن سبباً في رفضه للدعوة وعدم قبولها.

كما أن أبا طالب لم يكن على تلك الصورة الساذجة التي تمثلها السحار عندما فسر عدم إيمانه- إضافة إلى ما ذكر- بأن ذلك كان عسيراً عليه لأنه لم يكن قد سمع بعد باصطفاء الله من يشاء من الملائكة والناس ليكونوا رسله إلى الإنسانية. ولأنه من قوم لم يبعث الله إليهم رسلاً ولا أنبياء.

---

(١) الأنبياء. آية [٧- ٨].

حقيقة إن أبا طالب كان من قوم لم يبعث إليهم رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم، لأن أهل الحجاز وهم سكان وسط الجزيرة العربية لم توجه إليهم رسالات سماوية إلا إذا اعتبرنا أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانت لهما في الفترة التي وجدا فيها أثناء عملهما في رفع قواعد البيت بعض التوجيهات الخاصة لأهل تلك المنطقة الكائنة في وسط الجزيرة العربية. ولكنها لم تكن رسالة موجهة إليهم. ومصداق ذلك قول الله جل جلاله ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ (١)

أما أهل الشمال والجنوب من عرب الجزيرة فقد أرسل الله إليهم الرسل، وبعث فيهم الأنبياء.. بتعاليم الهدى ودعوة الوحدانية.

فكان نبى الله "هود" عليه السلام مرسلاً إلى "عاد" التي كانت مساكنهم بالأحقاف في أرض اليمن شمال حضر موت. وكان نبى الله "صالح" مرسلاً إلى "ثمود" النازلين، بالحجر في شمال المدينة. وأرسل إسماعيل إلى أهل اليمن، وشعيب إلى مدين. ولوط إلى قومه في الأردن. (٢)

---

(١) سورة يس آية [٦].

(٢) انظر: الحقبة المثالية في الإسلام. د. إبراهيم شعوط ص٧ وما بعدها. ومحمد رسول الله لمولاى محمد على. ص٢٧.

ولا شك أن انتشار هؤلاء جميعاً في مناطق مختلفة من شمال الجزيرة وجنوبها قد ذاع بين الناس، وتناقلته الأجيال. ومع أن دعواتهم لم تثمر في أقوامهم إلا أنها تعد بمثابة علامات على الطريق أشارت إلى وجود ركائز أساسية ثابتة لعقيدة التوحيد في سائر أرجاء الجزيرة العربية. كما أشارت إلى وجود رسل وأنبياء قاموا بدعوة الناس إلى تلك العقيدة.. وبدعوة الناس إلى الهدى على أساسها.

كما أن وجود المسيحية واليهودية في بعض المناطق العربية، ومنهم الأحبار والرهبان، الذين ذاعت أقوالهم، وانتشرت بين العرب، خصوصاً قرب مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.. عندما أخبروا الناس باقتراب زمن النبى المنتظر.. الذي سيبعثه الله بالرسالة الخاتمة.. وإعلانهم عن ورود ذلك في كتبهم المقدسة.. التي يدينون بها وعلى لسان أنبيائهم تبليغاً لوحى الله لهم.. كل ذلك قد أشار إلى وجود رسل وأنبياء اصطفاهم الله من بين خلقه لحمل أمانة الرسالة وتبليغها إلى الناس.

ولهذا لا نوافق السحار في قوله عن أبى طالب: إنه كان لا يستطيع أن يتصور ولا أن يعتقد بقدرة البشر على الاتصال بالله.. وأنه لم يكن قد سمع بعد باصطفاء الله من يشاء من الملائكة والناس ليكونوا رسله.

فهذا مدفوع بما قلناه.. من أن أمر هؤلاء الرسل.. والرسائل التي أرسلوا بها.. قد تناقله الناس جيلاً بعد جيل وَعُرِفَ في البيئة العربية من خلال الرحلات التي كان يقوم المكيون بها صيفاً وشتاء.. والتي أشار إليها القرآن الكريم في قول الله جل جلاله:

﴿لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت.. الذي أطعمهم من جوع.. وآمنهم من خوف﴾. (١)

فعدم علم أبى طالب باصطفاء الله الرسل لا يطابق واقعه في بيئته وبيته.

فقد كان يعيش وسط خضم هائل من أخلاط الناس في مكة ومن بينهم ولا شك.. كان الحنفاء وهم الذين أذاعوا بين الناس أفكارهم.. وكان منهم من يعرفون كثيراً عن الديانات الكتابية.

بل إن وجود الكعبة في مكة وما ترمز إليه كمكان للعبادة.. لدليل على معرفة العرب بأصول الديانات.

كما أن السحار ركز في إيراده لحرب الفيل على أنها كانت لهدف سياسى يعتمد على فكرة دينية.. مفادها أن ينتشر سلطان الصليب على شبه

---

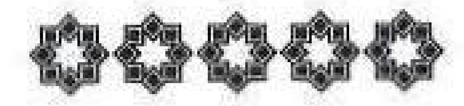
(١) سورة قريش.

الجزيرة.. ولابد أن يكون المكيون قد فطنوا إلى ذلك.. وعرفوا الصليب وما يرشد إليه من ديانة المحاربين خصوصاً وأن هذه الحرب تتصل بأقدس مقدساتهم الدينية وهى الكعبة.. وإذا كان ذلك قد خفي على عامة الناس في مكة فإنه لا يصح أن يخفي على بيت الرئاسة والسدانة وفيه عاش أبو طالب..

كما أنه ورث عن أبيه وظائفه الدينية التي تتصل بالكعبة وزوارها.

لو وضعنا كل ذلك أمامنا.. لا نوافق السحار على تصوره لشخصية أبى طالب.. ذلك التصور الذي جعله يبرز لنا تلك الشخصية في حالة من فقدان الوعى بوظائفه الدينية.. التي ورثها عن أبيه فضلاً عن تجارته الخاصة التي- كانت تتصل- أيضاً- بالعبادات.. فقد كان يبيع البخور لليهود والنصارى وأصحاب المعابد.

وهذا كله يدعم ما ذهب إليه القدماء.. بل ذهب هو إليه من أن الإيمان بما جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- سوف يعرضه للملامة لأنه ترك دين آبائه.. واتبع فتى قريش.. صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم.



عن الأدب الإسلامي

من ينهض بهذه الراية؟

للأستاذ الدكتور

أحمد إبراهيم خليل

سألني صاحبي ولا أدري غرض استفهامه ؟

أين يمكننا العثور على النماذج الصافية للأدب الإسلامي في العصور الماضية؟

وقبل أن أنطلق في إبراز كثرة هذه النماذج على طول تاريخ العرب والمسلمين فاجأني باحترازين يجب الوقوف عليهما؛ أحدهما أن أتجنب النماذج المذهبية "عقيدة" والحزبية "سياسة" علي حد تعبيره قاصدا الأدب الشيعي والخوارجى وما أشبه مما يعج به ديوان الأمويين والعباسيين، والاحتراز الآخر يتعلق بالأدب الإسلامي جزئياً بمعنى أن لا يكون فيه من الإسلامية سوى عنصر جزئي من عناصر تكوينه ، كأن يكون دافع الإنشاء إسلامياً، وأما أفكار النص ومضامينه وصوره وروحه فدون ذلك، ولعله يشير بخبث إلى أراجيز الحماسة ومقطوعاتها المبثوثة في أمهات كتب التاريخ كالطبري والذهبي وابن الأثير تصور اندفاعة المسلمين الأول في

فتوح البلدان وفدائيتهم في معاركها وفرحتهم بالانتصار، تلك الفرحة الفطرية الساذجة التي لا تتضمن دعوة إلى مبادئ أو تبشيراً بعصر جديد.

وهنا أسقط فى يدي، وابتسمت ابتسامة المتحير متسائلاً ؟

وماذا تركت لي لأورده من نماذج؟ وإذا أشرت إلى أدب الحب الإلهي أو المديح النبوى قلت صوفية، وإن جئتك بشعر الحماسة والنصر فى معارك الإسلام قلت جزئية، لم يبق إلا أن تسمى أدب الدفاع عن الدين وأهله حزبية وتعصباً.

أحس أخيراً صاحبى بلجاجه وتحامله فاتخذ سمت المعتذر وهو يقول مبتسماً فى حرج: إنى- والله- ما قصدت إلا أن أبحث جاداً عن صورة أدب إسلامي متكامل الشكل والمضمون منسجماً فى صياغته وتصويره وألفاظه مع أفكاره ومعانيه وروحه مصوراً فى عالمه الداخلى كل ما تحمل الإسلامية من معان سواء على مستوى المثل والمبادئ والأخلاق أو على مستوى الواقع اليومى المعيش والحياة الإنسانية والاجتماعية البسيطة، وهل يرضيك أن تصف بالإسلامية شعراً زاحمت فيه عاطفة المسلم أخلاطا من الفلسفة الهندية واليونانية وما يسمونه بالحكمة الغنوصية والأوهام الخرافية؟! وهل تقبل أن تعد بضعة أراجيز فى تصوير إقدام الفرسان على مواطن القتال ورميهم أنفسهم فى ساحات الخطر من قبيل الأدب الإسلامي

الرفيع الذى نتمنى جميعاً له أن يصل إلى الغاية فى المثالية الإنسانية كى يستحق شرف هذه النسبة الغالية التى لايقدرها إلا غيور على الدين، صادق فى حبه والاعتزاز به ودفع الشبهات عنه وقطع ألسنة الحاقدين؟

نبيلة هذه المشاعر- قلت- يا صاحبى، بيد أن غيرتنا على محبوبنا لا يجب أن تتجاوز حدودها فتجعلنا نتجاهل محبيه الآخرين الذين صوروا فرحتهم بالانتصار له وجسدوا عاطفتهم الحارة تجاه باريهم- عز وجل- ونبيهم- صلى الله عليه وسلم- فى أشعارٍ صادقة اللهجة متدفقة الشعور مهما يكن ما شابها من أفكارٍ دخيلة ، فنحن لا شك نستمتع بجودتها وننفعل بحرارتها ونتأثر ونسمو بسمو عاطفتها، ونقدر فى الوقت نفسه أن ننحى جانباً كل ما اختلط بها من أو شاب.

اعترض صاحبى: كأنك تريد للأدب الإسلامي قارئاً مزوداً بجهاز نقدى دقيق يفحص المادة الأدبية فيسمح لبعضها بالمرور وينحى البعض الآخر! وأما أنا فأكلمك من منظور القارئ العادى.

لا يا صاحبى، ليست هذه واحدة تأخذها علىَّ، إن كل قارئ عادى هو فى النهاية قارئ ناقد مادام على قدر من الوعى والثقافة ، فإنه بالضرورة يدير حواراً بينه وبين ما يقرأ ، ثم هو يقبل ما يشاء، ويرفض ما يخالف عقيدته أو ذوقه أو رؤيته الشخصية ، على أنى أرى غلوك فى

رفض نماذج الأدب الإسلامي أو أغلبها فى العصور الماضية يرجع فى حقيقة أمره إلى طبيعة تصورك للعمل الأدبى بصفة عامة، إن كل نص أدبى يتألف من عناصر متعددة تختلط فيها الأفكار والخيالات التى استوعبها ذهن المبدع وتشربتها مخيلته من كل ما وقعت عليه حواسه من مرئيات ومسموعات ومقروءات.

وهى بطبيعة الحال ليست منسجمة دائماً ، لأنها لا تنبع من مصدر واحد بل ربما كان بعضها مناقضاً لبعض ، وبرغم ذلك فإنها تشكل بطريقة أو بأخرى المادة الأصلية التى يتخلق منها العمل الأدبى ، وصحيح أن عقل المبدع يسعى قدر طاقته ليضبطها ويوفق بينها ويزيح عنها تناقضاتها ولكنها مع ذلك لا تخلو.........

ولو قال النقاد الواقعيون الاشتراكيون قولك فلم يدخلوا دائرة أدبهم غير النماذج الصافية لن يلقوا فى نهاية الأمر شيئاً يستحق أن يسمى أدباً واقعياً اشتراكياً.

وكذلك تستطيع أن تحكم على كل أدب منتسب ، فإنه قلما يوفق مبدعه إلى جعله صافى النسبة إلى منسوبه- إن صح هذا التعبير- بل لعل ذلك الصفاء الذى تنشده لا يحسب فى صالح العمل الأدبي ولا في صالح نسبته إلى ما يتجه إليه من عقيدة وفكر، لأنه بصفائه الذى تتطلبه يغدو

مبالغاً ممعناً فى الخيال ، ويظهر فى صورة الأدب الدعائى الرخيص، فهل هذا هو ما تريد؟

قال صاحبى: فتح الله عليك بهذه المحاضرة التى لم أفهم منها شيئاً غير أن كلامك هذا ذكرنى بقضيتين دعنى أفجرهما بهذه المناسبة كى أفرغ ما فى نفسى وأرتاح.

تحدثت عن أدب الدعايا والإعلانات ووصفته بالرخص محتقراً له ومستهيناً به ألا تخشى أن ينظر الناس إلى الأدب الإسلامى على أنه أدب دعاية للدين الحنيف وإعلانات له مدفوعة الأجر؟ وتذكر مصير الأدب الاشتراكى عندما تلقفته أيادى أنصاف الموهوبين البارعون فى ركوب الموجة والعزف على النغمة السائدة وهم كثيرون فى كل زمان ومكان.

وتحدثت قبله- وهذه القضية الأخرى- عن الآداب المنسوبة إلى العقائد والأفكار كالأدب الاشتراكى والأدب الوجودى والأدب العبثى.......... إلخ.

ألا تتفق معى فى أن هذه العناوين لم تظهر قبل العصر الحديث بل قل إن شئت السنوات السبعين الأخيرة؟

إن هذه- والكلام لم يزل لصاحبى ولست مسئولا عنه- ليست مجرد ملاحظة عابرة عن ظاهرة شكاية تافهة إنها إشارة لافتة إلى حقيقة أدبية مهمة دعنى أحاضرك فيها كما فعلت معى من لحظات.

إن من أهم ما يفرق بين أدب العصر الحديث وبين آداب العصور الماضية هو خاصية أو قل ظاهرة الاحتشاد ، من يجادل فى أن مثقفى القرن العشرين أتيح لهم من المعلومات ما لم يتح مثله لأسلافهم على مر العصور ورأوا وعرفوا وقرؤا أضعاف ما رأى الآباء والأجداد، وهذه السعة فى المعلومات أوجبت عليهم أن يتخذوا موقفاً ، ولم تسمح لهم أن يتستروا وراء الحياد وقلة الاكتراث.

وما الفرق بينهم وبين الأدباء المذهبيين قديماً؟ ألم يكن "الكميت" محتشداً فى تشيعه ؟ ألم يكن "عمران بن حطان" محتشداً فى خارجيته؟

بلى، ولكنه ظل احتشاداً دون ما عليه المحدثون، احتشاداً فيه من بساطة الحياة القديمة وعفويتها ما فيه، احتشاد إنسان مندفع فى حماسته بكل قوته؛ لأنه إنسان بسيط، إنسان لا يكاد يسمع غير رنين صوته وصوت من يردد كلامه، إنسان يرى نفسه مركز أمته ويرى بلده مركز الأرض والأرض مركز الكون، وأما إنسان العصر الحديث فهو لا يكاد يسمع

صوت نفسه الخارج من صدره من كثرة ما ينبعث حوله من أصوات لا يميز ما يوافقه منها مما يخالفه.

إنسان العصر الحديث انتبه على أن أحداً لا يسمع صوته إلا بجهد جهيد، فلا هو مركز الوطن ولا الوطن مركز الأرض، هذه الأرض التى ليست غير ذرة لا تكاد ترى فى بحر رمال من ملايين المجرات بكواكبها ونجومها.

اقرأ "الكميت" و"عمران" تجد أن كلا منهما على يقين بأنه وحده (ومعه حزبه طبعاً) هم الذين يمثلون الإسلام أصدق تمثيل أو التمثيل الوحيد الصادق هكذا كان يرى كل منهما نفسه فهل يستطيع شاعر شيعى أو إباضى أو حتى سنى الآن أن يحس ذلك الإحساس الجميل المتشبع امتلاءً وامتداداً أنه هو وحده ممثل الإسلام؟ ألا ترى أن الأديب المعاصر متنبه جيداً لحقيقة أنه إن تكلم فليس سوى صوت بين عشرات الأصوات، صوت ناحل خفيض أجوف، صوت يشعر أنه معرض دائماً للضياع فى وسط الزحام ولذلك فهو حريص على الخصوصية والتميز، لا ليس ذلك بالضبط بل إنه حريص على أن يحفظ ذاته من الضياع.

- هل تعرف لماذا لم يظهر مصطلح الأدب الإسلامى إلا هذه السنوات الأخيرة؟

❖ بغتني السؤال وأسرتني رعشة صوت صاحبي وانفعاله وهو يجيب بنفسه.

❖ نعم ربما تأثراً بأن كلاً من أصحاب الأيديولوجيات المختلفة أبدعوا آداباً متشبعة بعقائدهم ونسبو إليها، ولا بأس، كل كائن حي لابد أن يتأثر بما يحيط به ولكن هناك سبباً أهم، ذلك أن الأديب المسلم في العصر الأخير انتبه إلى تلك الحقيقة، حقيقة أن صوته معرض إلى السرقة والضياع، صوته يوشك أن يذوب في خضم الأصوات المتباينة فهو مشفق على ذاته وكيانه من الاستلاب والفقدان ، والأديب المسلم في هذا الزمان لا يريد أن يتميز، فهذا التميز ترف ويريد أن يكون صاحب صوتٍ خاص فهذه نرجسية وشوفينية، والنرجسية مرض نفسي كما تعرف ، والشوفينية مرض قومي، والأديب المسلم الحق ليس مغرماً بذاته فيكون نرجسياً ولا متعصباً ضد غيره فيكون شوفينياً أو فاشياً محتقراً للآخرين، الأديب المسلم الحق يعرف أن الخلق جميعاً عيال الله وصنعة يده ونفخة من روحه، فهو يحترمهم ويكرمهم بتكريم دينه لبني ، آدم أجمعين، ولكنه يخاف على صوته من الضياع، لا ليس صوته، بل يخاف على كيانه ووجوده من التلاشي في ظل الآخرين ، ولذلك بحث عما تسميه "الأدب الإسلامي".

اعتدل صاحبى فى جلسته وهو يحدق فى الفراغ واستأنف حديثه:

بينما ضعف المسلمون وقوى الآخرون عملت قوانين الطبيعة عملها، فأخذ الضعيف فى تقليد القوى ومضى فى ذلك أشواطاً حتى كاد شخصه أن ينمحى، وكاد صوته أن يتلاشى فلما أحس الضعيف بذلك بحث عن طوق النجاة، عن شئ يثبت أنه ما زال كياناً موجوداً، كياناً مستقلاً لم تبتلعه بعد قوة الآخرين.

هل كان "الكميت" أو "عمران" أو "دعبل" أو حتى "البوصيرى" أو ابن الفارض" أو مَنْ شئت ممن أبدعوا أدبا دينياً فى العصور السابقة يحسون هذا الشعور أو يخافون هذا الخوف؟ بالطبع لا، ولذلك كانوا أدباء مسلمين ولم يكونوا أدباء إسلاميين والفرق كبير يا صاحبى بين أن تكون مسلماً وأن تكون إسلامياً.

لكن، وآه من لكن، تبقى مشكلة واحدة، مشكلة حقيقية بعيدة عن كل هذه السفسطة، مشكلة جديرة بأن تعرض الجهود المبذولة فى سبيل تحقيق كُنه الأدب الإسلامى للخطر، وقد لا أبالغ إن قلت إنها ربما تشترك، دون قصد طبعاً، مع معاول الهدم التى تضرب بأيدى الفساد فى أعمدة الثقافة العربية، والأدب العربى فى هذه السنوات الأخيرة بكل شراسة.

تلك هى مشكلة أن يتحول الأدب الإسلامى من أدب أناس يسعون لرؤية أنفسهم وإثبات وجودهم من خلال تجسيد كيانهم الروحى فى الكتابة إلى أدب أدعياء ومنافقين وسماسرة دعاية وإعلانات.

تذكر نكتة الأزهرى الذى أفسدته القاهرة ثم رجع إلى قريته بدون الإجازة العالية حين عزّ على أبيه أن يفضح فشله فأوعز إليه أن يجيب عن كل سؤال يطرحه عليه أهل القرية الطيبون بعبارة: **((فيها قولان))** كل شئ فيه قولان، وكل شئ جائز وممكن فى هذا الزمان، أجل نحن الآن فى زمن **((فيها قولان))**.

قد تعرف مدى فساد الأذواق وجنوح الطبائع إلى الكسل والخمول وانزلاق الناس عامتهم وعلمائهم إلى منحدر التهاويد والاستهلال وزهد الجميع فى بذل الجهد وطلب الإتقان، ألا ترى معى أن شعار "الأدب الإسلامي" سيستخدم وسيلة سهلة لإخفاء ضعف الصنعة الفنية والرضى بأيسر مجهود فى طلب الإبداع المتقن وامتلاء النتاج الأدبى بالعبارات المكرورة والخطابة الصارخة والوعظ المباشر والحكمة الجوفاء، هذا الذى كنا نسميه آنفاً أدب الدعاية والإعلانات؟

تأوهت وقلت: فما سبيل النجاة يا صاحبى؟

قال فى حماس وهو يهم بالنهوض: السبيل أن يضع الأديب المسلم حين يبدع وراء ظهره كل لا فتة ، ولا تكون له غاية غير أن يخلص فى التعرف على ذاته من خلال أدبه، أقصد ذاته الشخصية والقومية وبذلك فقط يبدع أدباً إسلامياً إنسانياً حقيقياً يكفيه أن يكون قصده واضحا وألا يخفي وراء ظهره أجندة سرية .

إن الذى ألجأ الغيورين على المطالبة بوجود أدب إسلامي أن أكثرية أدبائنا كانوا يكتبون واضعين اللافتات أمامهم، هذا يضع أمامه لافتة الكلاسيكيين الفرنسيين وهذا يضع لافتة الرومانتيكيين الإنجليز ، وهذا لافتة المدرسة الحديثة........ إلخ لقد أجاد هؤلاء التعبير عن تلك اللافتات ونظر مثقفونا فى نتاج أدبائنا فلم يجدوا أنفسهم ولا رأوا أمتهم بآلامها وأحلامها وإنما رأوا أمة الفرنسيين مرة والإنجليز أخرى والروس ثالثة.............

وأما الذين يجب أن ينهضوا برفع راية الأدب الإسلامى فهم النقاد، لا بمعنى أن يجعلوا المصطلح سوطاً على ظهور المبدعين ووسيلة سهلة للتربح والارتزاق، ولكن بمعنى أن يبحثوا فى نتاج مبدعينا عن صورة أمتنا بكل عيوبها ومشكلاتها وسعيها المتعثر فى سبيل تحقيق ذاتها بما تحمل ضمائرها من قيم روحية ومثل إسلامية وأسباب ذلك التعثر وتبعات تلك الهوة الفاصلة بين ما نعيش وبين ما نتمنى أن نعيش.

إن أخطر ما يواجه دعاة الأدب الإسلامي والمتحمسين له أن يصنعوا النموذج الذى يصنعونه أمام المبدعين لينسجوا على منواله، ما أسرع تحول الأشياء إلى أصنام ! وما أبشهها عند ذلك!

يا صاحبى، الأديب الحق هو الذى يظل مخلصاً للإنسانية بعيداً عن أى شعار، وأما الناقد فهو وحده الذى يستطيع أن يكون مفكراً نظرياً وأن يحاسب الأدباء على وفق مبادئه.



الشاعر والشطآن الموعودة

شعر

أ.د/ أمين عبدالله سالم

" ويظلّ الشاعر يحلمْ ...

يحمل فى برديْه همومَ العالمْ ...

البسمةَ .. والأحزان .. والشوق المُورقْ ...

يحتضن شآبيب الضوء ...

يرشرشها فوق الشطآن الموعودة ..."

ما عاد يهتاجنـــى همـــسُ البساتيـــن   قد هِيض فى خاطرى خفق الرياحيـن

أسوانُ... أمشى على أرضٍ مضرسةٍ   أخطو.. فتوسعنـى عضـًا.. وتدمينـى

الريح تعصف بى.. والشوق يسكبنى   فوق المجامر.. أحزان المساكيـــن

والبحر يلقى ذراعيه.. يمدُّهمـــا   نحوى بلهفة عشَّاق يلاقينـــــى

حتى إذا ما ركبتُ الموج.. وخـــزه   مسُّ الجفون.. فأضحى وهو يطوينى!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

ما لِلطَّريق يشدُّ الخطو من قدمـــى ... كأن فى قدمى أصفاد مسجـــون!

أعانق الصمتَ.. أغفو فى عباءتـــه ... يؤرق الصمتُ أجفانى.. ويجفونـى

أدق فوق جدار الليل أوقظـــــهُ ... أسلُّ من عينه طيفا يؤاسينـــــى

عيونـه الضائعات الدمع.. تغسلنـــى ... وحانهُ الفارغات الكأس تروينـى!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

عَطْشَي جذورُ المنى تنسلُّ ذابلـــةً ... من طلّةِ الوهم أسقيها... وتسقينى!

قد جفَّ ينبوع هذى الأرض فارتُجيتْ ... سحائب الصيفِ.. أحلامَ البساتيـن!!

هناكَ عند شُطوط الفجر قافلـــةٌ ... صحوَى يباركها نبضُ المـــلايين

تسرى على كَفَلِ الشطآن ســـابحةٌ ... وفى ارتقاب لهيف الصدر.. تدعونى

والفجرُ كم حدثتنى عنه غـــاربة ... وخدرتنى به الآمال... تلهينـــــى

لا الليل يأذن عنّى فــــى ترحّلِهِ ... ولا الشطوطـ على بعدٍ ـ تدانينـى!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

كأننى فى شباكٍ:.. والأجواء عاصفةٌ ... فتمضغ الريح همساتى.. وتذورنى

أحاول الهمس ... والأجواء عاصفة ... فتمضغ الريح همساتي... وتذونـي

ما عذبتنى شجونٌ مثلُ شاردةٍ ... تخالسُ الليلَ فى صمتٍ فتُشقينى

أبيت أحتضنُ الأكوان.. أحملها ... رؤى تَوَاثبُ.. فى شتَّى التـلاوين

حلمٌ أعلقهُ قنديلَ ساهــــرةٍ ... أحياهُ أعزفه نَزْفَ الشـــرايين

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

لو أستطيعُ.. غزلتُ الشمسَ ملحفةً　　ثُلفْلفُ الزهرَ فى عصف الخماسين

لو أستطيعُ.. نثرت النجم عــــافيةً　　تبارك الفجرَ فى دنيا الأناسيــــــن

لو أستطيعُ.. زرعت الأرضَ أغنيـةً　　تُوشوش الركب من غضٍّ التلاحين

لو أستطيعُ.. ملأتُ البحر أشرعــةً　　تغفو على كفّها عينُ الأحــــايين

لو أستطيعُ... سلكتُ الدمعَ مسبحـةً　　تهدهدُ الروعَ فى أحناءِ محـــزون

لو أستطيعُ.. ضفرت الشّعرَ سوسنةً　　تزهو بها طفلةٌ.. فوق الفســـاتين!

لو أستطيع.. فما الدنيا بضائرهـــا　　أن تستجيبَ لأمنيات مفتـــــون!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

أهوى الحياة غديراً... ما تروِّعـُـهُ　　فى روعة الظلِّ.. فحاتُ الثعابيــــن

أهوى الحياة سلاماً... فرختْ معـهُ　　بيضُ الحمائم... فى حضـن الأفانيـن

أهوى الحياة.. كما شاءت مقادرهـا　　فى مرفأ زاهر الآمــال مأمــــــون

أهوى... ومالى فيها غير أمنيــــةٍ　　أن تبرأ الأرض مـن أحلام مأفــون

لاهٍ يسيلُ لعابُ النار من يــــــدهِ　　يغذو بجذوته أشواقَ أتّــــُون

قد ضَرَّجَ النبتةَ الخضراء فى دمها　　وأغرق الضوء فـى دمع البراكيــن

وزجَّ بالحبِّ قرباناً لطـــــــائشةٍ　　وأحـرقَ النُّور فى حِجْرَ القرابيــــن

مزاهر النار خَفَتَتْ فـى أناملِــــهِ　　وقد تمايلَ من رقص الشياطيــــن!

الله... الله... ما للأرض مـن أملٍ　　حتَّى تشرَّبَ فى عطر النبييـــــن

مازلتُ أبحثُ عن شطٍّ تلـوذ بـــه　　حتَّى وجدت سلام الأرض فى الدين!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

مالى أصارع أشواقاً مكبلــــــــةً حمر الأظافر.. أرديها وتُرْدينـــــى!؟

مالى ألملم دنيا النـاس قاطبـــــةً كأنما العالمُ المصلوبُ تكوينـــــى!؟

كأنَّهُ عبرةٌ جفَّتْ محاجرُهَـــــــا فأوسعتْها جفونى فيضَ مكفونـــــى!

كأنَّ قلبى الصغير الغِرَّ مزرعـــــةً لمنتقِى الأرض.. من شوكٍ ونسرين

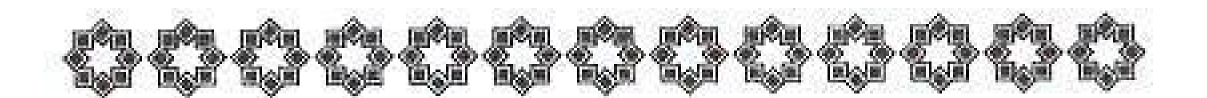
كأننى لست أدرى ربما بشـــــــر ضمت جوانحه طيش الشياطيـــــن

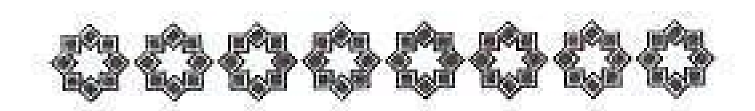
أو ربما ملك سكرته معصيـــــــــة بالرغم منه على أرض من الطيـــن

ماذا أريدُ؟ لقد حُمِّلْتُ مـــــا عجزتْ عنه اليمن.. وشوق النفس يُعيينى!

أبغى... ودنياى تأبى.. وهى قادرة ما أبتغيه... ولا تنفكّ تلحونـــــــى

كأننى عالمٌ ليستْ منــــــــا بثهُ منها ولكنه دنيا مجــــــــانين!!





بين اللغة والأدب والتفسير

بقلم أ.د/ محمد سعد فشوان

أستاذ الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالإسكندرية

لفت نظرى وأنا أطالع كتاب التفسير المسمى الجامع لأحكام القرآن للإمام أبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى [ت ٦٧١هـ] أنه في تفسيره القرآن الكريم يعتمد اعتماداً بيناً على اللغة والشعر، وغالباً ما يكون الشعر من عصور الاحتجاج اللغوى، وتفسير القرطبى طبعته دار الكتب العلمية ببيروت لبنان في طبعته الأولى عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ويقع في عشرين جزءاً تشملها عشرة مجلدات، وقد قدم الناشر هذا التفسير بمقدمة مختصرة له قال فيها: ﴿ إن المطلع على تفسير القرطبى يرى مبلغ ما بذله هذا الرجل من جهد وعناية فائقين في البحث والتحليل، واستنباط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب، وإلمام عميق بأصول علوم الشريعة وفروعها، ومعرفة واسعة بلغة العرب وآدابهم تتجلى في استشهاده بكثير من النصوص الشعرية والنثرية في تضاعيف مؤلفة مما يشهد له بطول الباع وسعة الأفق﴾ .

وقد شاركه في هذا المنحى الموسوعى كثيرون نذكر من بينهم مؤلف كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى [٢٩٠- ٣٦٦هـ] ، فقد ذكر محققا وشارحا الكتاب محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى أن القاضى اشتهر بالفقه وترجم له الشيرازى في طبقات الفقهاء وفسر القرآن الكريم وذكره السيوطى في طبقات المفسرين، واشتغل بالتاريخ وله فيه آثار، ثم هو شاعر متقن وكاتب مترسل وناقد لوذعى وفيه يقول صاحب اليتيمية: ﴿ حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحترى، وينظم عقد الإتقان في كل ما يتعاطاه، وله يقول الصاحب:

إذا نحن سلمنا لك العلم كله   فدع هذه الألفاظ ننظم شذورها[١]

عرف له الصاحب فضله فولاه قضاء الرى وكانت حضرة الصاحب محط رحال العلماء والشعراء والأدباء، واحتفّ به من نجوم الأرض وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم على من اجتمع على أبواب الرشيد.

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبى جـ٤ ص٣ ط دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة.

ومن هؤلاء البغدادى صاحب خزانة الأدب الشيخ عبد القادر البغدادى [١٠٣٠ – ١٠٩٣هـ]، وكان من أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار مع التثبت من النقل والانتقاد، ويقول تابعه (المحبى) مؤكداً قوله عمن لقيه في هذا الشأن: ﴿وأخبرنى عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة﴾.

❖❖❖❖❖❖❖❖

وقد تناول هذا الموضوع من قبل د/ محمد رجب البيومى الذي تناول في محاورة علمية حول معنى (الإحسان) في سورة يوسف، وفي مقال من مقالات هذا الكتاب تحت عنوان: "نظرات قرآنية" تحدث المؤلف عن مثالية الإحسان في هذه السورة وربطها بالمثل الخالدة من قيم الإسلام والتعليل لهذا الربط والاستشهاد له بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والدكتور/ محمد رجب البيومى بعد علماً بارزاً من أعلام التفسير البيانى للقرآن الكريم وهو إلى جوار ذلك أديب مشهود له بالفضل.

ومن هؤلاء الأستاذ/ الدكتور إبراهيم عوضين في دراسة ﴿البيان القرآنى﴾ ، والأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح الدماطى الذي كانت له نظرات في سورة طه ملتزماً بهذا المنهج، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى الذي قرر أن القرآن الكريم من زاويته الأدبية هو ذروة الأدب وأنه في قمة لا

يمكن لأدب آخر أن يدانيها بحكم كونه معجزاً، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور/ عبدالله حسين على سليمان الذي كتب كتاباً بعنوان: ﴿ تيارات التأثر والتأثير بين الأدب والتفسير﴾ الذي ذكر في هذا الكتاب أنه يبرز ما كان لتفسير القرآن من تأثير حيوى فعال في الدراسات الأدبية والنقدية والسمو بالذوق الأدبى والارتقاء بالإحساس الفنى والارتباط بالقيم الجمالية الخالدة، وما كان للأدب من أثر بالغ في التفسير بكافة اتجاهاته وفي شتى مراحله.

وسوف أقتصر في هذا المقال على سورة واحدة من هذا التفسير تاركاً للقارئ فرصة السياحة بنفسه في باقى سور القرآن الكريم التي فسرها كلها الإمام القرطبى ألا وهى سورة **﴿التكوير﴾** التي تقع في المجلد العاشر في الجزء التاسع عشر من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥٩.

فهذه السورة بها كلمات تحتاج إلى تفسير لغوى وآخر أدبى فقوله تعالى في هذه السورة مثلاً: **﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾** " قال أى تهافتت وتناثرت " وقال أبو عبيدة: " انصبت كما تنصب العقاب إذا انكسرت " قال العجاج يصف صقراً:

أبصر خربان فضاء فانكدر   تقضى البازى إذا البازى كسر

وفي قوله تعالى: ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ أى النوق الحوامل التي في بطونها أولادها الواحدة عشراء أو التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع أيضاً، ومن عدة العرب أن يسموا الشئ باسمه المتقدم وإن كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح: هاتوا مهرى وقربوا مهرى، ويسميه بمتقدم اسمه، قال عنترة:

لا تذكرى مهرى وما أطعمتُه   فيكون جلدى مثل جلد الأجرب

وقال أيضاً:

وحملت مهرى وسطها فمضاها

وكلمة (عطلت): عطلها أهلها، لاشتغالهم بأنفسهم وقال الأعشى: هو

الواهب المائة المصطفا   ة إما مخاضاً وإما عشاراً

وقال آخر:

ترى المرء مهجوراً إذا قل ماله   وبيت الغنى يهدى له ويزار

وما ينفع الزوار مال مزورهم   إذا سرحت شول له وعشار

وفي قوله تعالى: ﴿ **وإذا الموؤودة سؤلت بأي ذنب قتلت** ﴾ يقول : الموؤودة : المقتولة وهي الجارية تدفن وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيوؤدها أى يثقلها حتى غوت ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ [البقرة ٢٥٥] أى لا يثقله، وقال متمم بن نويرة:

وموؤودة مقبورة في مفازة   بآمتها موسودة لم تمهد

وفي قوله تعالى: ﴿ **فلا أقسم بالخنس** ﴾ يقول عن الخنس: هى بقر الوحش، ويروه في ذلك رواية عن عبدالله بن مسعود يقول فيها: إنكم قوم عرب فما الخنس؟ قلت : هى بقر الوحش وروى عن عكرمة قال : الخنس البقر والكنس الظباء ، وقد قيل إنها الملائكة حكاه الماوردي ، والكنس : الغُيَّب مأخوذة من الكناس، وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه. قال أوس بن حجر:

ألم تر أن الله أنزل مزنة   وعفر الظباء في الكناس تقمع

وقال طرفة:

كأن كِنَاسْ ضالة يكنفانها   وأطرَ قسى تحت صلب مؤيد

وقيل الكنوس أن تأوى إلى مكانسها وهى المواضع التي تأوى إليها الوحش والظباء قال الأعشى:

فلما أتينا الحى أتلع آنسى   كما أتلعت تحت المكانس ربرب

وفي قوله: ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ يقول : أدبر بظلامه، قال علقمة:

حتى إذا الصبح لها تنفسا   وانجاب عنه ليلها وعسها

وقال رؤبة :

يا هند ما أسرع ما تسعسعا   من بعد ما كان فتى سرعرعا

وقال امرؤ القيس:

عسعس حتى لو يشاء آدنا   كان لنا من ناره مقبس

وأما قول امرئ القيس :

ألما على الربع القديم بعسعسا

فموضع بالبادية. وعسعس أيضاً اسم رجل.

قال الراجز:

وعسعس نعم الفتى تبياه

أى تعتمده ، ويقال للذئب العسعس ويستمر هكذا في سرد التفسيرات اللغوية ويستشهد على صحة قوله إلى أن قال في قوله تعالى: ﴿ **وما هو على الغيب بظنين** ﴾ قراءة ابن كثير وأبى عمرو والكسائى أى بمتهم والظنة التهمة، قال الشاعر:

أما وكتاب الله لا عن شناءة   هجرت ولكن الظنين ظنين

ويقول: واختاره أبو عبيدة ، لأنهم لم ينجلوه ولكن كذبوه لأن الأكثر من كلام العرب ما هو بكذا ولا يقولون ما هو على كذا إنما يقول: ما أنت على هذا بمتهم ، وقرأ الباقون ﴿ بضنين ﴾ بالضاد: أى ببخيل من ضننت بالشئ يضن به ضنا فهو ضنين قال الشاعر:

أجود بمكنون الحديث وإننى   بسرك عمن سالنى لضنين

وهكذا يستمر القرطبى في تفسيره هذه السورة وفي تفسيره كله يأتى بالمعنى اللغوى ويستشهد عليه بالشعر وبخاصة في عصور الاستشهاد اللغوى.

هذا وبالله التوفيق



"أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ"

.... النابغة الزبيانى

يا دارَميَّة .. يا ذكرى بلا أمـــــــدَ

ويا معالمُ فى روحى وفى جَســـــدى

يا قبلة القلْبِ .. يا مأوى أحبَّتِـــــهِ

ويا شهوداً على ماضى الهوى الرَّغَد

يا دارميَّة .. يا ملهى طفولتنـــــــا:

هل تذكرين صدى عصفورك الغـــردِ؟

هل تذكرين أغانى الحبِّ صافيـــــةً

تسيلُ مِنَّا كنَهْرٍ رائع الزَّبَـــــــــدِ؟

هل تذكرين سطور العشق نابضـــةً

حفرتها ها هنا من مدَّةٍ بيـــــــدى؟

هل تذكرين أنا شيدى أرددهـــــا
كالنفخ فى الصور أو كالنَّفْثِ فى العُقَدِ؟
تُحيى تراثاً من الماضى .. تجــدده
.. تراث عصرٍ بغير القول لم يَسُــدِ
شادَ الجدودُ به أبراجَ عزَّتَهـــــمْ
فما تزولُ معانيها إلـى الأبـــــدِ
وأعجزوا الخلق فى كلِّ العصور بـه
ما بين معترفٍ منهــم ومضطهَــدِ
فكم شغوفٍ بهم يقفو مآثرهـــــم
بكل عزمٍ شديـد البـــأس مُجْتَهِدِ
وكم عدوٍّ غدا بالسّمِّ قولتـــــهُ
وقام يرسلهـــا فى جـــرأةِ الأسَــدِ
ويدعى أن هـــــذا الفن منتَحَـلٌ
وأنَّ بانيَةَ الفنـــــــان لم يشِــدِ
زعمٌ كذوبٌ وأقـــوالٌ ملفَّقـــــةٌ
قد عـاد فارسُها خَزْيَانَ لم يَصِـــدِ
وكم محاكٍ بجَهْلٍ لا كِفاءَ لـــــهُ
وعلمُهُ الجَهْلُ لم ينقُصْ ولم يــزَدِ

فما يقوم من الماضى على سببٍ

أو فوق فاصلةٍ شُـدَّتْ إلـــى وَتدِ

أقوالُهُ فى وجوهِ الصحف منكَرَةٌ

مَخنوقةٌ بد عاوى الكذب والفَـنَدِ؟!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

عشنا هنا زمناً ما كـــان أعذبَهُ!

إذْ نحن من بهجة الأحلام فى بـُرُدِ

إذْ نحن طفلان فى لهوٍ وفى دعةٍ

فى نجوةٍ من رياح الحقد والحَسَدِ

نحيا براءة دنيانا، وفطرتنـــــا

ونجتنى شَهْدَ أيـــــامٍ بلا عَدَدِ

ونرشف الحب عفا من منابِعِــهِ

ونملأ الأرضَ من آمالنــــا الجُدُدِ

نجرى ونجرى فلا أسوار تمنعنا

ولا تضيق حدود الروض بالخَفَـدِ

نعانِقُ العُمْرَ .. نروى غَضَّ أيْكته

فيُزْهرُ العُمْرُ فينا نابــــلا كَمِـــدِ

وكلما مَرَّ يـــومٌ زادنــــا شَغَفاً

وزادنا القُربُ حُبا غير مُقْتصــدِ

وبادلَتنى الهَوَى طُهْراً ومرحمــَةً

فكان مأوایَ- ما أحيا- ومعتمــدى

رأيتُ فى وجهها أسرارَ عالمنـــا

تَبدو كحُلْمٍ بآمال الشبـاب نـــدى

إذا التقينا تحادثنا بـــــلا كَلِمٍ

وذبْتُ خمراً بكأس الحُسْـنِ والغيَدِ

حتى إذا دارت الأيام دورتهــــا

وشبَّ فيها هوانــا غَيْـــر متَّئـِدِ

ثارتْ حميَّةُ جُنـدِ الكُرْهِ وانتفضوا

ليقتلوا أغنيات الحبِّ بالحَقـــَدِ

وقامت الأعْيُنُ العمياءُ تتبعُنَـــا

فى كلِّ رُكنٍ بسوط الشكِّ كالرَّصَدِ

حتَّى إذا وجدوا ما بيننا قـــدَراً

وعالماً من صفـــاءٍ غير ذى أوَدِ

راحوا بها دون إحساسٍ بلوعتنا

وعُدْتُ وحدى وما للقلب من أحَدِ

هدُّوا كيانى، ونالوا فىَّ مــأربَهُمْ

وَخلفونى فقيد العَــوْن والسَّنَدِ

أمْضى الليالى والأيــام مُنتظراً

فى مَوْعدى ثم آوى ذاهب الرَّشدِ

أزورُ كلَّ مكانٍ زُرتُهُ مَعَهـــا

مُرَوع القلْب حيرانا بــلا جلَدِ

أحاولُ الصبْرَ عنها لا تطاوعنى

نفسى ونفسى من الآلام فى صَفَدِ

قد أبعدوها، وذكراها تعيشُ معى

على أتونٍ بنار الشوق مُتَّقـــد

وأسهرُ الليل فى نجوى محاسِنِها

على مدى الفن والأنَاتِ والسَّهدِ

فكمْ عزَفْتُ لها من أدمعى نَغَماً

مُعَذَّبَ اللحن بَعْدَ القُرْب بالبَعدِ

وكم توسَّلت الأهات نازفــــةً

من عُمْق ليلٍ طويلٍ للأنين صدى

لكن ليلى ضعيف السمع .. يتركنى

على فراشٍ بشوك الهـــم منْفَرِدِ

أبيتُ أصنع ألحانى أردِّدهــــــا

فى وَحْدَتى قطعاً قُدَّتْ من الكَبِــدِ

تبكى بدمعى وترثينى بمعرفتـــى

يا ويح فنى .. بلا ركنٍ ولا عَضُدِ!!

محطمٌ فى يد الأقدار زورقـــــهُ

واليم يقذفُ بالأمواج والبَـــــرَدِ

دوامة العُمر قد شلّت إرادتـــهُ

إن مدَّ كفيه للأطواق لم يجـــــدِ

يقوده الوهم .. لا يدرى توجهَـهُ

.. مع الخضَمِّ بلا عونٍ ولا مـــدَدِ

أمســى بلا أمل للشطِّ يدفعـــهُ

ويومُهُ شاحبٌ يمضى بدون غــدِ

شراعُـهُ خَلَقٌ، والموت دفتـــهُ

وبابُهُ الخوفُ .. لم يَخْتر ولم يُردِ

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

مالى تُهَوم لى الأفكارُ شـــاردةً

على دروب مخوقاتِ الرؤى قـدَدِ

قد أعجزتنى وردَّت فى موهبتـــى

وغرتنـــى عن أهلى وعن بلـــدى

وضللتنى فأغمى لفحهـا بصـرى

ومنجَلُ الموتِ منى غيـرُ مُبتعـدِ

فلستُ أستطيعُ فى سعيى مواصلة

ولستُ أبصـرُ غاياتـــى ومعتقدى

أصبحتُ أمشى خطا ما كنت أرغبها

كــأن فـــى عنقـي حبلاً من المسَدِ

أبنى من الوهم أهراماً مشيـــــدةً

وهـل سترفع أهرامٌ بلا عمـــدِ؟!

وأستعيد كلامــا كُلــهُ خطـــــلٌ

ما دار حينا من الأحيان فى خَلَدى

وبلبل الرَّوض بات اليوم مُغتربــاً

يعانـــق الحتف مجهولا .. بلا قودِ

مهوم فى فيـافٍ حـــدود لهـــا

إلا حدود اللظى والخوفِ والحَرَدِ

هاجَتهُ أوهامه فاهتاج يتبعهـــا
فضل فيها .. ولم يظفر، ولم يَعُد

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

يا دارَمَيَّة َ: منْ لـى بالرجوع إلـــى
عَهْد الطفولـةِ، فالأعوام لم تَجـــــدِ
ضَيعْتُ عمرى، وعُدت اليوم فــى ندمٍ
بادى الضياع على الشطين مُر تَعِــدِ
مالى سوى ذكرياتٍ مالهـــا عــَدَدٌ
إن لم يكن لى سواها- فى الدنا- فقدى
يا لـهف نفسى على ما كان ثم مضــى
.. يا ليت نفسى لم تولدُ ولم تلـــــدِ..

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

إسلامية الفن المسرحي

نحو تأصيل المسرح الإسلامي

أ.د/ السيد مرسي أبو ذكري

تقديم:

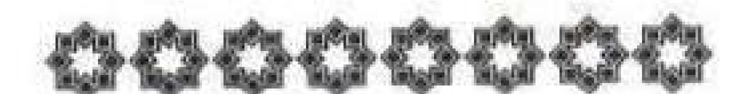
هذا بحث فى «إسلامية الفن المسرحى» حاولت خلاله تأصيل «المسرح الإسلامى» وتجاوز دائرة "التنظير" إلى محيط "التطبيق". واقتضت طبيعة الدرس تحديد معنى "الإسلامية" فى أنها وجهة النظر الدينية للكاتب فيما يتعلق بالمفايم الأدبية.

وبعد الحديث عن نظرة الإسلام للحياة، أشرت إلى أن المسرح العالمى نشأ فى ظل المعتقدات الدينية، ثم انحرف عن الدين فى ظل الفلسفات المعاصرة، فى حين اهتم كثيرون من أصحاب الأعمال المسرحية الحديثة من كتابنا بقيم الإسلام ومبادئه.

وإلى ذلك الحديث عن نشأة "المسرح الإسلامى" وتطوره:

من حيث الشكل ومن حيث اللغة، وتحديد مهمته فى تجاوز عالم الغربة، إلى أعمال مفعمة بإيجابية الروابط بين مختلف الطبقات ، وحددت مجالاته فى مختلف القضايا الإنسانية الكبرى، من خلال منظور تحكمه قوانين الدين الإسلامى.

أتبعت ذلك بتناول أشكال بناء المسرح، من تحديد الزمان والمكان، وتحقيق وحدة الموضوع، ورسم الشخصية وربطها بالحوار، وإيثار الفصحى دون غيرها، فأهم الخطوات التى تحقق وجود المسرح الإسلامي، ونوّهت ببعض أعمال كبار الكتاب التى صدرت عن شعور إسلامي، وتمثّل تجارب ثرية فى تناول القضايا الإسلامية والتاريخية، من أمثال توفيق الحكيم، وعلى أحمد باكثير، ومصطفى محمود، وغيرهم من أصحاب التجارب التى تفتح أفاقاً جديدة فى مجال المسرح الإسلامى وتأصيله، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.



مفهوم الإسلامية

ماذا تعنى؟

الإسلامية نسبة إلى الدين الإسلامى الذى وضعه الله لعباده، وعبّر عنه فى قوله تعالى: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ - آل عمران: ١٩، وما جاءت به الشرائع التى تلقيناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1] وبذا تكون إقامة العلاقة مع مختلف العلوم والفنون مع الوحى ونبأ السماء.

ومن ثم تمثل وجهة النظر الدينية للإنسان، فيما يتعلق بالمفاهيم الأدبية، لأن الوضع الألهى- الوحى والدين- يمثل الإطار الحاكم لأى فكر، فتضبط وظائفه وتطبيقاته، بمقاصد الشريعة الإلهية، وأخلاقيات الدين الإسلامى وقيمه، لأن العلاقة وثيقة بين الدين الإسلامى، وبين ما يبدعه الإنسان المتدين من علوم وفنون، حتى يتم تحقيق "النموذج الثقافى" الذى يمثل رسالة فكرية أصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهور الإسلام.

---

(١) راجع: التعريفات للشريف الجرجانى، طبعة القاهرة ١٩٣٨م، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم- وضع مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٠م.

تلك إسلامية المعرفة التى عرفتها حياتنا الفكرية والثقافية ، وعلى هذا نعني بإسلامية الفن المسرحى، التأصيل الإسلامى له فى أدق عبارة، وأبسط قول.

ومن ثم فليست "الإسلامية" مذهباً ، فالأديب المسلم يدرك أن الفن ليس تقليداً للطبيعة، كما زعم "أرسطو" ٣٨٤- ٣٢٢ق م ولا هو تسلية ولهوا محضاً كما زعم بعض الكتاب، بل الفن لديه، يحدّ من نشاط الغريزة الجنسية، ويحول اندفاعها الطاغى إلى مسالك الخير والصلاح.

وبذا تكون "الإسلامية" من الوجهة الأدبية، أرحب من المذاهب الغربية، وأسمى من قيودها، وأول مظاهرها لدى المسلم تبدو فى علاقاته بالمثل العليا: الحق والخير والجمال.

- كل حركاتنا الفكرية تقودنا إلى الحق.

- كل سلوكياتنا تهدف إلى خير.

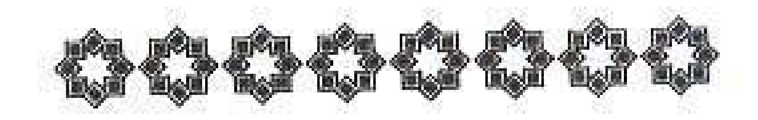
- كل أحاسيسنا تتوجه إلى الجمال.

وعلى هذا تكون غاية الدين الإسلامي، تحقيق الحق أو الخير أو الجمال، سواء فى إرادة أو قول أو عمل من الفرد أو الجماعة ، وللمسلم

موازينه المعتدلة، وإيجابيته فى الحياة، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله"- آل عمران: ١١٠، والحلال بّين والحرام بين لديه، وبينهما شبهات يدركها بعقله الواعى.

وما دام الإسلام ينفى جوهرية الشر، فتظل قيم: الحق والخير والجمال، تمثل حقيقة قدسية موحدة، ويظل الشر والباطل والقبح، وضع الشئ فى غير موضعه ، وأكبر شر فى الحياة هو "الشيطان" لكن لا حول له ولا قوة دون أن تتحد معه قوى الإنسان.

فقد كان الشيطان- يوماً- معلماً فى الملأ الأعلى، وعند تجاوزه قواميس السماء صار شراً، لأنه ترك موقعه الحقيقى، فأصبح كالنار إن بقيت فى موقدها تكون خيراً، وإن تجاوزته إلى أثاث البيت تكون شراً، لذا فالشر لا يدفع بالشر وإنما بالخير، قال الله تعالى ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ - فصلت: ٣٤.



نظرة الإسلام للحياة

ينظر الإسلام إلى الحياة نظرة متفائلة وبناءه. متفائلة- دائماً- لانها لا تعتبر الشر عنصراً أصيلاً فيها، وإنما هو وضع مقلوب يمكن تصحيح انحرافه ، أما كونها بناءة فلأنها لا تؤمن بنزعه الهدم من أجل الانتقام، بل تؤمن بضرورة الإصلاح، وتصحيح الأوضاع المقلوبة.

والمعتقد الدينى لدى المسلم، هو الذى يلون نظرته للحياة، ورؤيته للكون، ويعينه على تحديد معايير الحلال والحرام، والمقبول والمرفوض فيسهم فى تمايز الثقافة التى تمثل أبرز قطاعات العلوم والفنون.

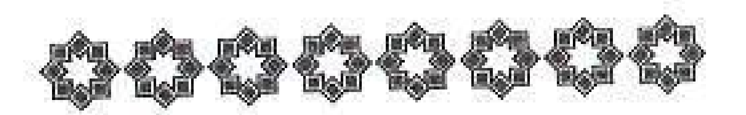
والأديب المسلم هو الذى يبث معنى إمكانية الإصلاح، ويزرع أسباب النفع والإيجابية فى نفوس المتلقين، ويقضى على كثير من نزعات السلبية والتهور واليأس، وما دام الشر مرضاً فمن السهل القضاء على جرثومته التى توهن طبقات المجتمع المسلم.

وعلى هذا لم يقع الإسلام وكتابه، فيما وقعت فيه بعض المذاهب الأدبية فى أدب الغرب، من شرور وآثام، وشقاء وحرمان، وفصل الفرد عن المجتمع، مما أشقاه،

- **الرومانسية:** تغنّى معتنقوها بالألم والعذاب، واعتبروا الحياة سجناً كئيباً، لا يستحق الإنسان أن يكدح فيها، أو يأمل الحزين أن يعيش فى أكنافها.

- **الوجودية:** رأى الداعون لها أن الفرد يشقى ويتعذب فى جحيم المجتمع، ويفصلون بين الفرد والمجتمع، مما يترتب عليه عداء راسخ بين الفرد والمجتمع.

لكن الإسلام بتعاليمه السليمة ونظمه الصحيحة، وضع المسلم فى مكان وسط بين الفردية والاشتراكية- الجماعية- يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وكذلك جعلناهم أمة وسطاً﴾ البقرة: ١٤٣ وهو المقام الحقيقى للإنسان الذى يخضع للمبادئ التى حددها الإسلام لسياسة الناس، لأنه فرد- جزء- فى مجتمع لا يتصادم مع فرديته، فيكمل الفرد مجتمعه، وإذا كمل المجتمع ارتقى أفراده.



الديـــن والمســرح

أ- فى المسرح القديم:

المسرح فن قديم وضع "أرسطو" ٣٨٤- ٣٢٢ ق.م قواعده حسب آرائه الفلسفية، وظلت دون أن يقطع أحد بالصورة النهائية لشكل المسرح أو مضمونه، ولا تزال المذاهب الفنية، من كلاسيكية ورومانسية ورمزية وواقعية ووجودية وغيرها، تقدم وجهات متضاربة حوله، مما تمخض عنها اختلاف مؤرخى الآداب الغربية، فى تفسير أشكاله، وتحديد أهدافه، وتقديم أدق قواعده حتى اليوم.

أجمع مؤرخو الآداب، أن المسرح نشأ فى أحضان المعتقدات الدينية، ثم أضفت عليها الحضارات هالة من القداسة والتقدير، وتنوّعت صوره فى بلاط الملوك والقياصرة، وفى رحاب المعابد والهياكل، وفى الساحات الشعبية، واقترنت بألوان من الموسيقى والغناء والشعر.

خلال العصور الوسطى ٣٩٥- ١٤٥٣م، كان للكنيسة مسرحها، وفى ساحته دارت موضوعات مقتبسة من الكتاب المقدس وتعاليمه وقصصه،

كقصص آدم وحواء والشيطان وغيرها وفى ثناياها تساق العبرة من أجل تقويم سلوك الناس، وهدايتهم وفق تعاليم السماء.

ثم تضافرت عوامل عديدة، من أجل تعايش المسرح مع الأديان قبل الإسلام، انتهت إلى أن الدين ينظم علاقة الخلق بالخالق، ويضع الأسس التى تنظم الحياة، وتحقق أمن الإنسان بجانب الاهتمام بأحوال الخير والشر، والثواب والعقاب.

وبذا كان المسرح تعبيراً عما يدور فى الحياة من صراع، وما يختلج فى النفوس من نزعات دون أن يعادى الدين، ومن ثم أصبح صوتاً من أصوات الدعوة، ووسيلة من وسائل الدعاة، يبشر بالسعادة والهداية، وينفر من اليأس والرذيلة.

ومعنى هذا أن المسرح القديم كان أقرب إلى النفوس من المواعظ المجردة، وشدّها إلى الاهتمام به، لما فيه من ترفيه وتسلية مفيدة.

قدم المسرح العديد من الشخصيات المرموقة وغيرها، وكان الصراع بين الخير والشر، هو الموضوع المفضل فى معظم الأعمال المسرحية ، ففى التراجيديا انتصر الخير فى النهاية ، لتحمل المشاهدين إلى طريق الخير، فتحمد أعمالهم فى الدنيا ، وينالون ثواب الله فى الآخرة.

فى عصر النهضة- القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين- انحسر الإطار الدينى للمسرح، حيث ظهرت دعوات وفلسفات، أدت إلى مصادمات بين سلطة الكنيسة ورجالها، وبين الحكام وقادة الفكر الاجتماعى والاقتصادى.

وتمخضت هذه المصادمات عن زلزلة القيم والمبادئ ،وأدت إلى تشعب ألوان المسرح، فولد المسرح الاجتماعى والرمزى والرومانى والوجودى، وأصبح المسرح حرباً على الدين ورجاله، لكن بقى تيار يبرز الصراع بين الخير والشر، وينتصر- فى عمومه- لقيم الخير والحق والجمال.

وفى ظل الفلسفات الجامحة والمصادمات الجسام، انحرف المسرح عن الإطار الدينى البحت، وبخاصة بعد تحوله إلى تمجيد الشهوة، وإبراز الجنس، وإظهار مفاتن النساء، واستجابة للفلسفات التى تتيح الارتواء الجسدى بشتى ألوانه.

ب- فى المسرح الحديث:

لم يعرف العرب المسرح إلا خلال الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨- ١٨٠١م، حيث أعدّ رجال الحملة مكاناً لأداء بعض الأدوار

المسرحية ، جاء فى تاريخ عبد الرحمن الجبرتى المتوفى ١٢٤٠هـ = ١٨٢٥م، أنهم أطلقوا عليه "الكومدى" وأدوا به بعض "الملاعب"[(١)] التى تطورت على يد نفر فى القرن التاسع عشر الميلادى، ثم زاد عددهم وكثرت أعمالهم المسرحية فى بدايات القرن العشرين.

والملاحظ مشاركة عدد من المسلمين والمسيحيين فى الأعمال المسرحية آنذاك، فكتب بعضهم مسرحيات عن صلاح الدين ومملكة أورشليم، وأبرزوا بطولته كقائد مسلم، ومجدوا أعماله ومبادئه، وهاجموا الصليبيين ، وكتب غيرهم مسرحيات عن "يوسف الصديق" وعن "آدم وحواء" وعن "داود" وغيرهم من أصحاب القصص الدينى والتاريخى.

واهتم آخرون فى مسرحياتهم، بأمجاد الإسلام وأيامه الخالدة، وأبطاله الأوفياء، فقد تغنى الزعيم الوطنى مصطفى كامل ١٨٧١ - ١٩٠٨ بأبطال العرب فى مسرحيته "فتح الأندلس" وطالب خلالها بالتمسك بقيم الإسلام ومبادئه.

ولم يخف صوت المسرح طوال القرن العشرين، فقدم أحمد شوقى ١٨٦٨ - ١٩٣٢ خلال الفترة ١٩٢٧ - ١٩٣٢ سبع مسرحيات: كليوباترا،

---

(١) رجع: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ٣ ص٣٥ وما بعدها، طبعة بولاق، ١٢٩٧.

ومجنون ليلى، وقمبيز، وعنترة، وعلى بك الكبير أو دولة المماليك، والست هدى، وأميرة الأندلس، استوحى موضوعاتها من التاريخ المصرى القديم والوسيط والحاضر الاجتماعى، وعلى نهجه كتب عزيز أباظة ١٨٩٩-١٩٧٣ مسرحيات: غروب الأندلس والناصر، وقافلة النور، وقيس ولبنى، وشجرة الدر.

وبجانب هذا قدمت بعض المؤسسات السياسية والثقافية، عدداً من المسرحيات تعنى- فى جملتها- بالقضايا الوطنية والتاريخية، وسير أبطال الإسلام، لدفع الشباب إلى تحمل المسئولية فى مكافحة الاستعمار والصهيونية، كما طرحت بعض المؤسسات عدداً من المسابقات تدور حول المسرحية والقصة ذات الطابع الإسلامى، مما كان له أثره البالغ فى إثراء الحركة المسرحية الإسلامية، على يد عدد من الكتاب، أمثال توفيق الحكيم، وعلى أحمد باكثير وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

ثم تجاوزت المسرحية الإسلامية الإطار التاريخى أو الأسطورى الآن، إلى تناول قضايا الفرد والمجتمع، حتى يحقق المسرح رسالته داخل الحياة وخارجها، وتحلق فى الماضى والحاضر والمستقبل ومجاله فى ذلك كله الدين ذاته، وفى إطار هذا المفهوم يكون المسرح الإسلامى الذى يتطلبه

الكثير من المهتمين بقضايا الأدب الإسلامى، وخاصة رابطة الجامعات الإسلامية وغيرها.

المسرح الإسلامى

نشأته وتطوره:

عرفنا أن المسرح العالمى، نشأ فى ظل معتقدات وبيئات وظروف تختلف عن مثيلاتها فى التاريخ الإسلامى، والثابت أن ليس فى تراثنا القديم ما يضاهى مسرح الإغريق والرومان، وأوربا فى العصر الوسيط وعصر النهضة الأوربية، كما يخلو تراثنا الإسلامى القديم من صورة مكتملة لفن المسرح، وإن بدت بعض صوره فى فنون التسلية والترفيه التى عرفتها مصر والعالم العربى، فى خيال الظل والأراجوز وصندوق الدنيا.

وإذا صح أننا لم نتلق الفن المسرحى عن الفراعنة ولا عن العرب كفن مدون متوارث، فقد بدأ فى مصر والعالم العربى منذ الربع الأول من القرن الحالى، وبالتحديد ١٩٢٧ على يد أحمد شوقى ١٨٦٨- ١٩٣٢ فى مسرحيات شعرية تشبه المسرحيات الكلاسيكية فى معالجة الموضوعات

التاريخية، واختيارها من حياة الملوك والأمراء والسادة، كما فى مسرحياته "مصرع كليوباترا" و"عنترة" و"قمبيز" و"على بك الكبير" و" أمير الأندلس" وحكاه عزيز أباظة فى أعماله المسرحية.

وكتب على أحمد باكثير عدداً من المسرحيات التاريخية وأخرى معاصرة عن قضايا العرب والمسلمين.[١]

ثم تطورت المسرحيات الجدية، إلى ما يعرف بالدراما الحديثة، أى المسرحية التى لا تستمد موضوعها من التاريخ، ولا تقصره على حياة الملوك والنبلاء، بل تستمد موضوعها وشخصياتها من حياة العامة من أفراد الشعب.

وإذا كان أدباؤنا يحاكون الأدب التمثيلى لدى الغربيين، وتأثروا بتراثه من مختلف العصور والمذاهب، فمن الخير لأدبنا العربى المعاصر أن نكون على بينة مما نحاكيه من فنون العرب وخصائصها فى مختلف المراحل.

---

(١) أشرنا إلى أعمال أحمد شوقى وعزيز أباظة من قبل، وسنخص على أحمد باكثير بحديث خاص فى مبحث "مع أدب المسرح الإسلامى.

وعلى هذا يكون المسرح الإسلامى مولوداً جديداً فى محيد المسرح العالمى، ولكى يحظى بشرعيته فنا وأداء، يجب أن يكون وعاء لما نؤمن به من قيم ومبادئ، ويعبر عما نعتقده من منهج وسلوك، ويحفل بالأقوال والأفكار التى لا تنافى العقيدة الإسلامية، بحيث يدور المسرح الإسلامى فى فلك الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، ووسيلته وغايته تحليل الظواهر، وتفسير الأحداث، وتوضيح المعضلات الكونية، مهما كانت طبيعتها، وعلى أى لون من ألوانها.

وبذا يتناول المسرح الإسلامى القواعد العامة، بشئ من التطوير والتعديل دون أن يخرج عن طبيعته الجادة، ويفق تأثيره فى النفوس، وسيطرته على القلوب. وحينئذ يكون كراكب سيارة تؤدى مهمة مشروعة مثل: انقاذ مصاب، أو مهمة غير مشروعة مثل: عملية سطو، فالسيار - هنا - وسيلة محايدة لعمل - ما - قد يمون شريفاً أو دنيئاً.

وعلى هذا يكون المسرح بالنسبة للدعاية وسيلة - لا غاية - لهدف نبيل، ومن الضرورى دعم الوسيلة بإمكانيات فنية، وثقافة علمية، وقضايا فكرية، حتى تظل جاذبيتها باقية، والإقناع بها مستمراً عندئذ يبلغ المسرح الإسلامى غايته، ويؤدى مهمته، فى قوة واقتدار، وجمال وأداء.

أ- من حيث الشكل:

إذا تجاوز الفن صورته لا يسمى فناً، مهما حفل المضمون بالأفكار القوية، وهذا يعنى أن الصورة- قبل المضمون- هى التى تقرر أصالة العمل الفنى، وتنسبه إلى أى من الأشكال المتعارف عليها كالقصة أو المسرحية أو القصيدة.... إلى آخر أشكال العمل الأدبى.

فى أصول الشكل الفنى مجال نمو وإضافة وتجديد، فالمسرحية- مثلاً- طرأ على خطتها تغييرات منذ عهد الإغريق حتى اليوم، فى الأبطال والحوار، ودور الموسيقى والغناء فيها ، وفي أنواعها من كوميدي ودراما وميللو دراما وتراجيديا ..... إلى آخره.

فقد آمن المذهب الكلاسيكى بقانون الوحدات الثلاث، الزمان والمكان والموضوع بينما خرجت مذاهب أخرى على هذه الوحدات، وتلونت الأشكال الشعرية من ملاحم إلى مسرحيات شعرية إلى غنائيات وهكذا بحكم التطور.

وبرزت سمات جديدة غيرت ملامح الأشكال المسرحية، فى أعمال وليم شكسبير ١٨٦٤- ١٦١٦، وهنرى أيسن ١٨٢٨- ١٩٠٦، وأنطوان تشيكوف الروسى ١٨٦٠- ١٩٠٤ وبرناردشو ١٨٥٦- ١٩٥٠، وغيرهم

من الساخطين فى انجلترا، وكتاب المسرح فى أمريكا، ممن خرجوا على قانون الوحدات الثلاث.

ورغم تعدد الأشكال الروائية عند دوستوفيسكى ١٨٢١- ١٨٨١، وتولستوى ١٨٢٨- ١٩١٠ وغيرهما، فإن الشكل يرتبط بالمضمون ارتباطاً وثيقاً، لذا رأى معظم النقاد أن الشكل لا ينفصل عن المضمون لأن العمل الفنى وحده لا تجزأه فيها.

وعند الحديث عن مضامين الأدب الإسلامى واتجاهاته العامة، فلا تتعرض للأشكال إلا من ناحية فنية بحتة لا صلة لها بالمبادئ الدينية، أى أن الأحكام على الشكل الفنى لا تلتزم العقيدة فى تفسيره أو ربطه بوجهة نظر معينة.

وعلى الأديب المسلم أن يختار الشكل الذى يروقه، ويؤثر الوعاء الذى يصب فيه فكره، ويلجأ إلى الإطار، الذى يوائم نتاجه، ولا ننتظر منه سوى صدى عمله فى النفس، إلى أى وجهة اتجه إليها، وأية مشاعر وعواطف أثارها.

ويبقى الأديب المسلم صاحب فكر وعقل وعاطفة، يرى العالم من خلال ذاته، ولا تمر مادته بذهنه دون أن ينفعل بها أو يبدى رأيه فيها، ويلتزم بقضايا يؤمن بها، ويشكل بها سلوكه وطريقة تعبيره.

ب- من حيث اللغة:

المفروض فى لغة المسرح أن تكون الفصحى، حيث تربطنا بتراثنا الأدبى والإسلامى، والمشكلة فى من لا ينطقون بالعربية من أبناء الشعوب الإسلامية، ولا يفهمون الفصحى فهما جيداً، مثل هؤلاء نخاطبهم بالعامية عند الضرورة ولا أعنى بالعامية لغة كتابة بل لغة تفاهم فى أوساط معينة، لأن رسول الله- عليه السلام- أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم.

ولقد أعان ارتفاع نسبة التعليم إلى تقبل الفصحى المبسطة، وأصبح بعض الأميين يفهم نشرات الأخبار فى الإذاعة والتلفاز، وأدركوا معنى ما يقرأ لهم من الصحف، وبجانب هذا يستوعبون ما يقع على سمعهم من أحاديث دينية وسياسية، ويتجاوبون مع بعض المسرحيات باللغة الفصحى.

وهذا يعنى أن نستخدم الفصحى فى المقام الأول، ولا مانع من اللجوء إلى العامية فى بعض البيئات، بقصد الإفهام والاستنارة، أى أن

العمل المسرحى يكتب ويعرض باللغة الفصحى، ثم ينقل إلى العامية حسب ظروف المكان.

ولا تنزعج- عند الضرورة- من اللجوء إلى العامية، وفى أضيق الحدود، ولا نعتبر الأمر مشكلة لا حل لها، لأن الفصحى استمدت قداستها من القرآن الكريم. ومن ثم لزم أن تكون الكتابة بالفصحى، ثم يترجم الكاتب إلى اللغات الأخرى، ولا يلجأ إلى العامية إلا عند الضرورة.

المهم ألا تتنافر لغة الكاتب مع شخصية المسرحية، كما يقول توفيق الحكيم ١٨٩٨- ١٩٨٧. حيث حاول تقديم لغة ثالثة فى مسرحيته "الصفقة" وهى لغة بين الفصحى والعامية، أى يمكن قراءتها بلغة فصحى لمن يريد، وتنطلق عامية عند الأداء المسرحى، وهى تجربة انفرد الحكيم بها، وتبدو صعبة لدى عامة الكتاب.

ويسقط بعض كتاب المسرح "اللغة الموحدة" فى كتاباتهم، أى يجعلون الخادم يتكلم بلغة السيد، والحرفى بلغة العالم، والزوجة الأمية بلغة الزوج المتعلم، أى يتساوى الإثنان فى الأسلوب والمعانى.

مثل هذا لا يعين على تصور الشخصية تصوراً دقيقاً؛ لأن القدرات الذهنية والمهنية، لابد أن تظهر فى حوار الشخصية، حتى يحدث التمايز المطلوب بين الشخصيات.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

مهمة المسرح الإسلامى

ما دام الإسلام بدأ غريباً كما أخبرنا محمد- عليه الصلاة والسلام- فإن الغربة تعنى الضياع لفقدان روابط الخير، وطغيان عناصر الشر، وحينما ظهر الإسلام واجه معتقدات خاطئة، وتقاليد فاسدة، وأوضاعاً مختلة، ولما دعا النبى- عليه السلام- التخلص من ذلك كله، رفض المشركون النداء النبوى الإلهى حتى لا تجد الدعوة الوليدة صدى لها فى النفوس.

أما عالم اليوم فقد غرق فى حب المادة، وعمه التحلل الخلقى، حتى ارتكس فى الأوبئة الخلقية، فأكسبته ما يسمى اليوم "الشرعية الدولية" فما أشبه اليوم بالبارحة، تتكالب قوى الشر على المسلم المعاصر، فى فلسطين والبوسنة والهرسك وكوسوفو، ولم يستمع أحد لصوته، وكأن العالم اليوم

ينطق بلسان الطاغية الذى قال لرسول الله، عقب أول خطبة له "ألهذا جمعتنا" فأصبح المسلم- وغيره- غريبا فى بلاده.

مهمة المسرح الإسلامى تجاوز عالم الغربة، إلى أعمال مفعمة بإيجابية الروابط بين شتى الطبقات، وإحياء قيم الأسرة وتقاليد الحى بين أفراد القرية والمدينة حتى تسود قيم الحق والخير والجمال، فتتعمق مشاعر الإيمان واليقين.

بهذا يعالج المسرح الإسلامى المآسى العاطفية، ويصحح الأوضاع الجائرة، ويصلح السياسة الجانحة، ولا مانع أن يستفيد كتاب المسرح الإسلامى من فكر الغير، فرائد الدراما الحديثة جورج برناردشو ١٨٥٦- ١٩٥٠، اعتبر الشكل الدرامى وسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره فى المجتمع الإنجليزى، فأثرى به مصادر الفن الدرامى- رغم أنه كان محافظاً- من ناحية الشكل والصياغة، حيث اهتم بإيصال أفكاره للناس.

فلا غرابة أن يعتمد المسرح الإسلامى فى تصوير الحياة الصحيحة، على فقدان روابط الخير، وعلى طغيان أنماط الشر، ليعود بسيرة الإنسان وفق المنهج الصحيح وإلا حلّ الدمار والخراب بالمجتمع، بعد أن كمم الطغاة أفواه الأحرار وزجّوا بهم فى السجون والمعتقلات، كما دمّر تجار

اللذة حصن الفضيلة، وأثاروا القلق فى نفوس الشبيبة، وحولوا المدن العامرة، إلى حبوب من الانزواء والانطواء والغربة.

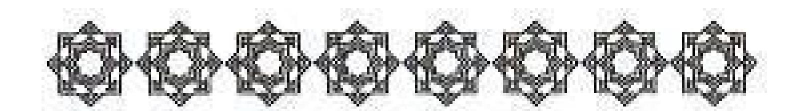
وعلى الكاتب المسلم رصد تناقض النفس الإنسانية ومتابعة تصرفاتها الخارجية ليبدع شخصيات، ويصنع صراعات مستمدة من الواقع الأليم، ويستطيع- بما لديه من معرفة- أن يجعل الشخصية تترجم عما يحتدم فى داخلها من نواقص، وفى الحالتين توحى الدلالات الدفينة بالغربة والغرباء.

وهذا يعنى أن التناقض بين الداخل والخارج، يبرز مأساة الإنسان ويبدو واضحاً فى المجتمعات التى تشيع العلاقات الآثمة فيها، التى تؤدى إلى إنهاك الروح والجسد معاً وتلك من أقسى ما يتعرض الإنسان له فى عصر يعانى الغربة فيه.

ونماذج الغربة كثيرة فى عصرنا، لا يتجاهلها المسرح الإسلامى، حيث تشغل حيزاً ضخماً فى المجتمعات المعاصرة، ولا يعنى هذا أن كل الأفراد غرباء، فهناك مناطق تحفل بالإيجابيات، وفى أخرى سلبيات وبين هذه وتلك مناطق جذب وشد،ويلتقى العديد من الناس فى الفكر والسلوك والعاطفة.

مثل هذا التناقض يخدم العمل المسرحى، ويتيح لكل كاتب قدراً من الخصوصية، يميزه عن غيره فى طريقة تناوله، أو فى استلهام فكرته، أو فى إدارة أحداثه لهذا كله أهمية كبرى من الناحية الفنية والفكرية يجب الاهتمام بها.

ولا يعنى هذا تقيدنا فى العمل المسرحى بالمواصفات المسبقة، لكن للفنان المسلم حق الانطلاق، ليبدع ويبتكر ما دام هدفه تأكيد المنهج الإلهى أولاً وأخيراً، مع ضرورة إبراز إيجابيات حركة الفكر والنفس والوجدان على نحو أفضل، ومن ثم يحقق لغرباء العصر ما افتقدوه من أنس وأخوة، وفاتهم من حب وحنان ودفء.



عدة الكاتب الإسلامى

الكاتب الواعى يتجنب التفريعات فى عمله، ويلتزم بوحدة القصة فيه، مما يؤدى إلى تصاعد موجة الصراع، وتوافق الحوار مع الشخصية والموقف والهدف، ولا يغفل العوامل التى تحدد سلوك الشخصية، وتوجّه مسيرتها العامة، حتى يحسن تفسير هموم الإنسان، ويضع الحلول الامناسبة لها، ويربط الحوار بالشخصية ارتباطاً وثيقاً، مع معرفة درجة نضوجها الزمنى، فالطفل يختلف حواره عن الرجل المسن، والمرأة دون الرجل، والجاهل غير المتعلم، فى طريقة النطق، وتسلسل الفكرة.

ويعتمد فى مسرحه الإسلامى، على أمور- هى عدته وعتاده- يوليها حقها من العناية فى كل ما يصدر عنه، ويفيض به خاطره، من أجل تقويم ما أعوج، وإصلاح ما فسد، ليحافظ على التوازن النفسى داخل الإنسان، **من أهمها:**

- عدم تجاوز حدود المنهج الإسلامى فى تصوير القضايا والشخصيات.
- أن يكون لعمله هدف محدد وغاية واضحة.

- أن يهتدى بتجارب المتخصصين، وآراء علماء الدعوة الإسلامية، بعد فهمها بعمق، وقياسها بمنهج الوحى الإلهى.
- وضع تجربته فى مجال الممارسة بأن تصلح ما أعوج، وتقوم ما فسد.
- تميز عمله المسرحى وتفرده فى مجال الدعوة الإسلامية.
- إضافة تجارب جديدة إلى المسرح الإسلامى.
- استقراء أحداث العصر، ومعالجة ما يشيع فى البيئة من مغريات وكوارث، بعمل جاء بناء، لا يتجاوز حدود المنهج الإسلامى.
- التزود بمختلف الثقافات الإسلامية، من أجل إجادة عمله.
- مواجهة أعتى المشاكل بصمود وتمسك بقيم الحرية والفضيلة كى يعطى صورة مقنعة عن الأديب المسلم.

بهذا ونظيره تمضى مسيرة المسرح الإسلامى عن وعى كامل مع طرح البدائل وفق نظرة الإنسان المسلم للحياة، ووفق معايير الدين الإسلامى، فى تحدي الحلال والحرام، والمقبول والمرفوض، إلى آخره مما

يسهم في تحقيق الوضع الإلهي المطلق، ويظل تأثيره فاعلاً في نفوس المارقين من الدين، فتندمل جراحهم.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

مجالات المسرح الإسلامي

يتناول المسرح الإسلامي، القضايا الإنسانية الكبرى، ويعالجها الكاتب من خلال منظور إسلامي، بحيث يكون الصراع فيها حركة دائبة، تحكمه قوانين الدين الإسلامي التي حفل كتاب الله وسنة رسوله بها، مع دعمه بآراء العلماء العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

١ - *الصراع مع القدر:*

عالج كثير من كتاب الشرق والغرب الصراع مع القدر، نظر معظمهم إليه على أنه قوة قاهرة لإرادة الإنسان فكان تناولهم له دون فهم لطبيعة معركة الحياة التي يخوضها البشر.

لكن الإسلام اعتبر "قدر الله" نظاماً يتعامل المسلم معه بالصبر، دون تحطيم إيمانه، ومن غير ضعف ثقته بربه ونفسه، فالرسول- صلى الله

عليه وسلم- وضّح أن قدرة الله فوق الشك، ونظامه فوق الريب، خلال حديثه عن الإنسان الطائع الذى يقول للشئ "كن فيكون".

وتذكرنا قصة الطاعون فى "عمواس"- مدينة بالشام- برأى عمر بن الخطاب فى أمر دخولها، ورده على قول بعض الصحابة: "أتفر من قدر الله يا عمر"، بقضية الإبل إذا رعت فى الوادى بأمر صاحبها، فهى ترعى بقدر الله، وإذا رعت فى آخر فقد فعلت بقدر الله.

وحسم القضية أحد الصحابة بقوله: "عندى بذلك علم"، فقد سمعت رسول الله- عليه السلام- يقول: "إذا كان الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإن كنتم بها فلا تخرجوا منها".

يكشف هذا أن نظرة المؤمن إلى القدر، ليس مبعثها خوف أو انهيار، وإنما مواجهة لقدر الله بوعى الذى يحاول الخروج من ألم المحنة، بالصبر عند الضراء، والشكر عند السراء، فيكون له الخير فى الحالين، لذا قال محمد إقبال ١٨٧٣- ١٩٣٨: "إن نظرة المؤمن تغير الأقدار".

وعلى هذا لا يكون القدر- فى نظر الإسلام- وسيلة هروب من محنة عرضت، ولا يكون سبباً نعلل به ضعفنا كما لا يكون طريقاً نلتمس العذر به فى عدم القدرة على المواجهة والصبر، والتحمل والصمود.

٢ - الصراع مع الموت:

الصراع مع الموت فى معظم أعمال المسرحيين، يصور الموت على أنه أقسى ما يواجه الإنسان به، حيث يحرمه من الاستمتاع بمباهج الحياة ومتعة الدنيا، ويدفعه إلى القنوط والبأس، ويقوده إلى الحزن والشقاء، وهكذا يحتدم الصراع السلبى لديه فى معركة خاسرة، فلا هو انتصر على الموت، ولا هو سعد فى سنى عمره.

وإذا بحثنا قضية الموت من خلال المفاهيم الإسلامية، أدركنا أن:

۞ الموت نهاية حتمية لكل حى من بنى البشر.

۞ الموت لا يخيف المؤمن ولا يرهبه، بل يسعد به ويلح فى طلبه بالاستشهاد فى سبيل الله.

۞ الموت بداية حياة خلود، تسعد من آمن واتقى وعمل صالحاً.

۞ وما دام الموت كذلك، لا يخافه المؤمن الصادق ولا يرهبه حيث يفر من صخب الحياة الفانية، ويفلت من مسئوليتها.

٣- صراع الشهوة والخطيئة.

تختلف ردود الفعل بين دعاة الفلسفات المعاصرة، حول شهوة المال أو السلطة أو الجسد، وغيرها من المغريات الدنيوية فيرى البعض إشباع الحواس عن أى طريق وبأى صورة وهذا- بدوره- يتصادم مع القيم الروحية والأخلاقية، ويرى غيرهم أن أضرار الشهوات نسبية، فما يرغب الإنسان فيه أمر شخصى بحت، وفى هذا إثارة للفوضى فى الحياة الاجتماعية مما يؤدى إلى الإخلال بنظامها.

ومهما كانت أراء أصحاب الفلسفات، فإن الإسلام أقام العلاقات الإنسانية على نظام ينظم الغرائز تنظيماً دقيقاً، ليحمى الفرد والجماعة معاً، ونظراً لأن البشر مختلفون فى الالتزام، فقد افترض الإسلام الخطأ والخطيئة- رغم المحازير والزواجر- فدعا المخطئين للعودة إلى حظيرة الفضيلة، ليعالج الصراع بين النفس الأمارة بالسوء، وبين نداء الضمير الحى.

وعلى الجملة فالمسألة- تقديرية- تخضع لطبيعة الموقف، وتتطلبه ظروف الصراع، فى حياة تحفل بالجيد الردئ، والعابد والعاصى، وعلى الكاتب أن يقتدى بأسلوب القرآن فى معالجة نماذج إنسانية شتى، فى صورة لا يستطيع بشر أداها، مهما بلغ الواحد منهم من حصانة الفكر، وروعة الأداء.

٤ـ الصراع حول مفاتن الجسد:

معظم كتاب المسرح يؤثرون إبراز مفاتن الجسم من أجل الإغراء والإثارة، ويعتمدون فى ذلك على ردود أفعال المتلقين، مما يبعدهم عن هدف المسرحية، كما ينحرفون إلى معالجة بعض الفرعيات.

وهذا خطأ جسيم من الكاتب، ومن الضرورى إعادة النظر فى عرضه، والبحث عن أسلوب يليق به، وعندئذ يمكن القول بأن ما يخدش الحياة فى صميم واقع المسرحية هو نفسه الذى يلزم تجنبه.

٥ـ الصراع والحرية:

اهتم كتاب المسرح- قديماً وحديثاً- فى الشرق والغرب، بالصراع الخارجى والداخلى للإنسان، والثابت أن إرادته- يفعل أو لا يفعل- يرتبط بعضها ببعض، وبالتالى يتحمل تبعة فعله.

فإذا كانت الحرية مسئولية التصوير العام فى فلسفات الوجد بين وغيرهم، فإن الإسلام حرّر عقل الإنسان من أوهام الخرافات والشرك والحيرة، من أجل تحقيق التوازن النفسى والسعادة المرجوة له، وتجاوز ذلك إلى وضع ضوابط شرعية لمسيرته الاجتماعية، فالذى لا تردعه عقيدته وضميره، يتخبط فى حياته ولا يسير على هدى وبصيرة.

وهذا يعنى أن وجود المسلم يفرض عليه أن يبدى رأيه فى كل ما حوله، فيواجه الحاكم الظالم، ويعترض على الأوضاع الجائرة، ويحقق ذاته وفق آداب الإسلام المفروضة، وأن يبحث عن وسيلة ترد إليه أمنه وطمأنينته، دون إكراه أو قهر فى الدين.

ولذا فبداية طريق المسلم الحرية ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ [1] ومسيرته الطويلة ﴿وهديناه النجدين﴾ [2]، ونهايته مسئولية وحساب، وهذا يعنى أن الحرية لا تكون تحطيماً وتدميراً، وليست كراهية وانحرافاً، عندئذ تصبح بناء مشامخاً، وعمراناً مثمراً، وسعادة دائمة، وعدالة كاشفة على أن:

- القدر ليس قيداً قاهراً.
- الموت ليس قهراً.
- العقل ليس خطيئة ووزراً.

عندئذ يظل الحب- بعيداً عن الرجل والمرأة والجنس- العام يحتضن العلاقات الثنائية والعامة: حب الله.... والأم... والأب... والصديق....

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة البلد: الآية العاشرة.

والعلم..... والفن.... والشهادة فى سبيل الله، فليس الحب كله جنسيا، ولكن عالمه الروحى أقوى وأحسن.

٦ـ الصراع والترفيه:

المسرح الإسلامى بمضمونه العام مسرح ترفيهى فى المقام الأول، وهذا يتناقض "مع الدور الجاد للمسرح الذى تضاعفت مسئوليته ودروه، غى استعادة الإنسان المغترب، عن عالمه الممثل فى أخوته ومجتمعه وعصره".[١]

وقال الكاتب المسرحى نعمان عاشور ١٩١٨ـ ١٩٨٧: ".. إن المسرح أصلاً فن يقوم لأعلى التسليم بما هو قائم وموجود وإنما بالدعوة إلى ما هو أفضل وأرقى منه، والمسرح أساساً فن رفض الواقع، لأنه يقوم على رؤية جديدة لواقع جديد، ونظرة مغايرة للواقع القائم، ومن هنا فالأصل أن تتبلور الجهود حول تعديل مسار المسرح، لكى يكون أقرب إلى الالتزام والجدية، فى عرض مشكلات الحياة ومعالجتها، لإلهاء الناس عنها بالضحك الأجوف، والتسلية الفارغة".[٢]

---

(١) راجع: مجلة المسرح، العدد ٢١.

(٢) راجع المصدر السابقز

وبذا يمتلك المسرح الإسلامى، الرؤية الصحيحة للواقع الأمثل، فتصلح ما فسد فى المجتمع، وترسّب داخل الفكر والنفس من أوهام، فمن كان له دور طبيعى، يرفض الفاسد فى الحياة، ويعبر عن أزمة الإنسان المعاصر الذى تخلى عن قيمة الدينية والأخلاقية، فخسر توازنه النفسى، وفقد استقراره الاجتماعى.

المسرح الإسلامى

بين التنظير والتطبيق

أ- أشكال بناء المسرح:

للمسرحية بناء خاص يميزها عن بقية فنون الأدب الأخرى،وعلى الكاتب احترام مختلف أشكال بناء المسرحية، وله تطويرها وتنميتها دون طمس المعالم التى تميزها عن بقية فنون العمل الأدبى.

١- المكان والزمان:

تنفرد المسرحية بحدود زمانية ومكانية، فإذا كانت المسرحية ذات فصول ثلاث- كما هو الغالب- فلكل زمانه ومكانه، وهذا واضح فى المسرح الكلاسيكى، بحيث لا يتجاوز الممثلون حدود المكان- المسرح- ولا يتهاونو فى تداخل ازمنة، عكس ما يحدث فى القصة.

٢- وحدة الموضوع:

يقتضى العمل المسرحى التركيز، وعدم اللجوء إلى التفريعات، حتى تتحقق وحدة الموضوع، والسيطرة على الحركة والحوار، والصراع ونم

الحدث، مما يؤدى إلى حدة التأثير، وتنظيم الاستجابة الوجدانية لدى المتلقين، ومن ثم تعتبر وحدة الموضوع من الموضوعات الحيوية، لا فى المسرحية وحدها، بل فى القصة والرواية، بل فى القصيدة.

٣- الشخصية:

يهتم الكاتب المسرحى- دائماً- برسم الشخصية، حتى تعبر عن موقف، أو ترمز إلى قيمة أخلاقية معينة، وهذا يعنى أن على الكاتب المسرحى، أنم يقدم الشخصية، سواء أكانت مستقيمة أم منحرفة، هابطة أم متساوية، صالحة أو طالحة، ثم يعالج تفسيرها وفق أسس المنهج المستقيم.

٤- الحوار:

يرتبط الحوار بالشخصية ارتباطاً وثيقاً، بحيث تكون لكل كلمة أو جملة وظيفتها، فالثرثرة بلا هدف تبعث الملل، والإطالة والتكرار حشو لا طائل تحته، ولا يعرف الحوار الاسترخاء لحاجة المسرحية إلى توتر مستمر، حتى يستحوذ على المشاهدين طوال ساعات- ثلاثة- العرض فوق المسرح وحلوه.

٥- اللغة:

يلزم أن تكون لغة المسرح هى الفصحى، حيث تربطنا بتراثنا العربى والإسلامى، ولا مانع من اللجوء إلى العامية فى بعض البيئات من أجل الإفهام، أى يكتب العمل المسرحى بالفصحى ويعرض بها، ثم ينقل إلى العامة حسب ظروف المكان، ولا يزعجنا اللجوء إلى العامية عند الضرورة، وفى أضيق الحدود.

٦- الصراع:

ينجم الصراع من تصادم متناقضات، وفى كل من طرف الصراع قوة ذاتية، وأخرى خارجية، ويحسم الصراع- دائماً- فى النهاية لصالح الأقوى، وتتفاوت ردود الفعل بتفاوت ظروف حالات الصراع، ومهما كان لون الصراع فإن مجاله يكتنفه الغموض والعنف فى مختلف الأشكال والأوان.

ب- *خطوات تحقق المسرح الإسلامى:*

من الضرورى إيجاد مسرح إسلامى، يتجاوب مع رؤيتنا الإسلامية، ويعالج قضيانا التى لا أول ولا آخر لها، ولا يصح أن نعتمد على تجارب الآخرين فى تربية أذواقنا، من هنا تبدو أهمية "إسلامية الفن المسرحى" فى

معالجـة قضـايا الأدب الإسـلامى، وممـا يحقـق المسـرح الإسـلامى ويـبرز رسـالته، الالـتزام بمجموعـات مـن الخطـوات، تحقـق وجـوده، وتخـرج بـه مـن دائرة التنظير إلى محيط التطبيق، تتمثل فى:

- تعـاون الجميـع فـى تأصـيل مفهـوم المسـرح الإسـلامى، عـن طريـق مشـاركة نخبـة مـن علمـاء الديـن الإسـلامى، مـع رجـال المسـرح- مؤلفيـن ومخرجيـن وممثليـن- حتـى ينهضـوا بالمجـتمع ويـرتفعوا بقيمة الأخلاقية.

- إيمـان المشـاركين بحقيقـة الرؤيـة الإسـلامية، بالإلمـام بفـن المسـرح وقواعده، حتـى يمكـن تحقيـق عمليـة "المسـرح الإسـلامى" بصـورة مثلى، وإدراك عوامل تطويره والتجديد فيه.

- إنشـاء مراكـز تدريبيـة خاصـة بالمسـرح الإسـلامى، يكـون لهـا حريـة الحـركة والإبـداع والتجريب، لتخريج شخصيات ذات نَبْرة فى النشاط المسرحى العملى فى مختلف المواقع.

- وضـع دليـل يتضـمن معلومـات وافيـه عـن المسـرح الإسـلامى، ويـزود بمختلف النماذج، والإشارة إليها فى وسائل الإعلام، حتى تكتمل الجوانب النظرية والتطبيقية لهذا الفن.

- إصدار نشرة دورية متخصصة، تتبع أخبار المسرح الإسلامى وتلاحق نشاطاته فى مختلف بلاد العروبة والإسلام.

- خلق رموز خاصة بالمسرح الإسلامى، لا تتناقض مع معتقداتنا الإسلامية.

- ابتكار مصطلحات فنية وثيقة الصلة بتراثنا وتاريخنا وموروثنا الشعبى، حتى تتبلور فكرة إيجاد المسرح الإسلامى وتميزه عن غيره.

- الاهتمام بالشخصية الإسلامية وإزالة ماعلق بها من تشويش قوى الغزو الثقافى.

- تخصيص حيز كبير لما يسمى "مسرح الطفل" ونشره فى المدن والقرى، وطرحه من خلال وسائل الإعلام.

- ألا نغفل "المسرح التعليمى" الذى يعنى بطرح بعض العلوم، فى التاريخ والفنون والآداب، فى إطار مسرحى إسلامى، يبعث على التشويق والإثارة.

- الاهتمام بحداث التاريخ، بالكشف عن الانتصارات التى حققها أسلافنا، من أجل حث شباب العالم الإسلامى، على تأدية دور بارز فى الحياة.

- تقديم تجارب إبداعية من الموروث الشعبى من خلال السير والشخصيات، للمساهمة فى إبداع أشكال مسرحية جديدة متميزة لها مذاقها الخاص.

- الاعتماد على اللغة الفصحى أسلوباً فى المسرح الإسلامى، لكن من أجل الاتصال والتواصل مع الجمهور، نلجأ- أحياناً- إلى اللهجات العامية حتى يتم حشد الطاقات الروحية والفكرية لإثراء الدعوة.

- الاهتمام بالمرأة فى كثير من أعمال المسرح الإسلامى، على نحو يتناسب مع مفاهيم الإسلام وقيمه، ولا يتجاوز أطر الدين الإسلامى.

- اللجوء إلى التسلية والفكاهة فى المسرح الإسلامى، عن طريق الكوميديا فى إطار الأدب والتقاليد الإسلامية.

- تناول قضايا الحب- لا على أنه الجنس وحده- بمختلف ألوانه، لأنها وثيقة الصلة بحياة الإنسان وغرائزه دون إثارة ولا تحريض على غواية.

- الاهتمام بالدراسات المسرحية المقارنة، على اعتبارها من روافد ممارسته وتطوره فى إطار مفهومه المعروف عبر الرؤية الإسلامية.

- التبادل الثقافى بين مسارح الدول الإسلامية، وترجمة الآثار الأجنبية التى لا تتعارض مع الرؤية الإسلامية.

- إقامة مهرجانات دورية للمسرح الإسلامى، مع توفير إمكانيات نجاحها، والخروج منها بنتائج وتوصيات قابلة للتنفيذ.

- نشر الوعى المسرحى، بين مختلف الأمة الإسلامية، فى قراها ومدنها ومدارسها وجامعاتها، والأندية والمراكز، حتى يصبح المسرح الإسلامى وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية.

- تلك أهم الخطوات والأفكار التى تحقق المسرح الإسلامى فى عالمنا العربى والإسلامى، ثم تتابع أعماله بالتقييم والتقويم، من أجل أن يكون فاعلاً ومؤثراً لدى الأفراد، وبين مختلف الطبقات.

جـ - مع أدب المسرح الإسلامي :

لم يلتزم أديب عربي بمنهج إسلامي محدد ، فيما ينتجه من أدب المسرح أو القصة أو الشعر ، وإن صدر جزء من أدب البعض عن شعور إسلامي ، وحسبنا أن نشير في وجازة دالة إلى بعض الأعمال التي جاءت مزيجا من الأدب والتاريخ ، في ضوء مبادئ الإسلام وقيمة ٠

۞۞۞۞۞۞۞

۞۞۞۞۞

أ – توفيق الحكيم ١٨٩٨ – ١٩٨٧ :

أحد الذين كتبوا مسرحيات ، على ضوء قيم ومبادئ الإسلام ، مثل محمد وأهل الكهف والسلطان الحائر وسليمان الحكيم وغيرهما ، ففي مسرحيته " محمد " الكثير من الصور الحية المتحركة في حياة الرسول – عليه السلام – وتخضع للسلوك الإلهي الحي [١] وأثار في " أهل الكهف "أبرز صراع الإنسان مع الزمن القاهر ، حيث لا يستطيع الإنسان أن ينتصر عليه ٠

---

(١) راجع : محمد في تاالأدب المعاصر صـ ٤٩ فاروق خورشيد وأحمد كمال زكي طبعة ١٩٥٩ ٠

وفي " السلطان الحائر " أثار صراعا بين القوة والالتزام بالعدل والقانون ، وفي مسرحية " يا طالع الشجرة " صور الصراع بين الفكر والمادة ، وبين العقل والجسد ، وأبرز قيمة العمل وجعله فضيلة من الفضائل ، وهي قضية تشغل الفكر الإسلامي .

ويبدو تأثير الحكيم بالقيم الإسلامية في كل ما يكتب حيث استمد مادة مسرحياته من روائع التاريخ الإسلامي ، وتنتهي – دائما – بانتصار المثل والمبادئ ، على قوى الطغيان والشر ، ومن ثم فهو أديب مسلم ، يحمل أدبه ملامح الشرق وروحانيته ، ومبادئ الإسلام وقيمه ، ومن ثم فعمله المسرحي مثال جيد لما يسمى " الأدب الإسلامي " أو ما يسمى " الاختيار الإسلامي " لا " الاختيار الوجوي " كما ذهب بعض النقاد .

ب- علي أحمد باكثير ١٩١٠ – ١٩٦٩ :

كتب عددا من المسرحيات ، اعتمد في صياغتها على التاريخ والأساطير مثل :

* دار ابن لقمان عن الحروب الصليبية .
* إله إسرائيل عن المشكلة اليهودية .

الثائر الأحمر عن حمدان القرمطي .[١]

واتخذ من شخصيات " ابن تيمية " و " العز بن عبد السلام " وغيرهما نماذج تشبثت بروح العقيدة الإسلامية وانتصروا لها وبها في قصة وإسلاماه " .

وفي ظل التصوير الإسلامي تناول في مسرحيته " الدنيا فوضى " قضية المرأة المعاصرة ، وحدد خلالها الوظيفة الاجتماعية لها ، وعالج في مسرحيات أخرى ، قضايا العرب والمسلمين ، مثل قضية فلسطين ، ومن ثم تؤلف مسرحياته مدرسة تحكمها القوانين الإلهية التي ندركها في كتاب الله وأحاديث رسوله – عليه السلام – وآراء العلماء العاملين في حقل الدعوة الإسلامية .

جـ – مصطفى محمود :

جسد في مسرحيته " الشيطان يسكن بيتنا " الصراع في شخصية امرأة فاسدة ، تغري عابدا منعزلا – الشيخ طنطاوي – بالاستفادة من تكنولوجيا العصر ، وتتوالى فيها الأحداث حول قضية – الشيطان – تهتم بها جميع

---

(١) الثائر الأحمر هو حمدان القرمطي . المسرحية مثال جيد للمسرح الإسلامي ، حيث تنتصر لمبادئ الخير وتكشف زيف مبادئ القرامطة .

الأديـان ، لأن الشـيطان رمـز الغوايـة والفسـاد ، ممـا يحـير الإنسـان أمـام مختلف المغريات ٠

ربط مصطفى محمود موضـوع مسرحيته ، بقضـايا الدين الإسـلامي ، حيث نـاقش قضية العمل الإسلامي الذي لا يعرف العزلة والاعتكاف ، ولا يرى أن هجرة المجتمع الإسلامي هي الحل ، كما يعالج موقف الدين من منجزات العصر ، حيث تساهم التكنولوجيا في راحة الإنسان والترفيه عنه وفق قيم المجتمع الإسلامي ٠

وانـتهى علـى أن الـتلفاز والسـينما والـراديو ، والتلـيفون ، وغـيرهما مخترعات – حيادية – من خلال الأثر الذي تخلفه في النفوس ولا يقدر الكاتب – أو الداعية على تغيير مسيرة الحياة في المجتمع بالعزلة والهجرة، بل بتقديم حلول لمشاكل المجتمع ٠

ومـن ثـم جـاءت مسـرحية " الشـيطان يسـكن فـي بيتـنا " تجـربة جديـدة للمسـرح الإسـلامي تفـتح بابـا واسـعا للعمـل المسـتمر وتقديـم المـزيد مـن التجارب ٠

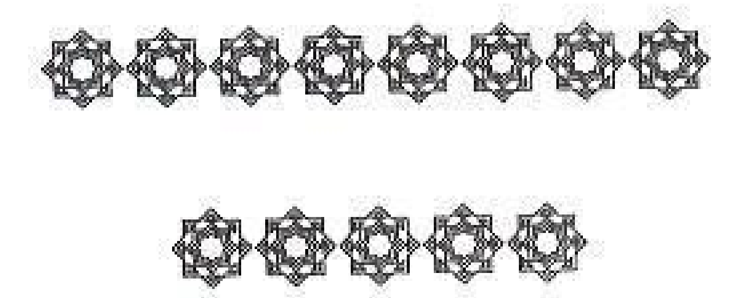
د – محمود دياب :

خاض تجارب المسرح الاجتماعي ، واهتم بالقضايا الفكرية والإنسانية في ستينات وسبعينات هذا القرن ، قدم المسرح القومي له مسرحيته " باب الفتوح " في موسم ٧٦ / ١٩٧٧ ، وهي تدور حول فكرة انتصار السيف وحده لا يكفي ، دون دعمه بالنماذج التي تجعل له دلالته ومعناه ٠

جسد هذه الفكرة في محاولة تشكيل التاريخ من جديد ، فتصور مجموعة من الشباب المصري ، تعاني أزمة بين هزيمة ١٩٦٧ وانتصار حرب ١٩٧٣ ، ولكي ينسوا همومهم ، استعرضوا انتصارات الأمة على أعدائها الصليبيين ، وابتدعوا شخصية ثورية – أسامة بن يعقوب – لمقابلة صلاح الدين ، ويعرض عليه كتاب " باب الفتوح " الذي يحمل أفكاره الإصلاحية ، لينير به الطريق للسلطان بغية تحقيق العدالة الاجتماعية ، التي تكمل صورة النصر العسكري ٠

كشف محمود دياب في مسرحيته ، عن نفاق الحاشية والأتباع وحجب الحقائق عن الشعوب ، وقمع دعوات إصلاح الأوضاع ، وتحقيق سعادة البشر وتبقى المسرحية تجربة ناجحة من خلال منظار النقد في المسرح الإسلامي ، لأنها تحمل تجربة ثرية في تناول القضايا الإسلامية والتاريخية.

هذا وغيره يؤكد أن لدينا تراثا إسلاميا ضخما في مجال الأدب الإسلامي ، لا يصح أن نتجاهله مهما كان صدوره عمن لا يلتزمون بالمنهج الإسلامي في حياتنا السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية ، لأنهم أولا أولا وأخيرا نتاج مجتمعنا المسلم ، تعلموا بلسانه ، ونموا تحت سمائه ، وحصلوا بلغته ، واستفادوا من مبادئه ، وإن فرقتهم السبل ، واشتطت بهم المذاهب وتفاوتت انتمائهم وهل من المعقول أن نغفل قسما كبيرا من تراث الكتاب المرموقين ٠



موارد البحث

١- الأدب وفنونه د/ عز الدين إسماعيل دار الفكر العربي ١٩٦٨

٢- الإسلامية والمذاهب الأدبية د/ نجيب الكيلاني بيروت ١٩٨٥

٣- إسلامية المعرفة .. ماذا تعني .. ؟ د/ محمد عمارة العدد ٤٦٢ سلسلة اقرأ ١٩٩٩

٤- الإسلام والمسرح ٠ محمد عزيزة ترجمة / رفيق الصبان ، العدد ٢٤٣ من كتاب الهلال ١٩٧١ ٠

٥- تاريخ آداب اللغة العربية جـ٤ جورجي زيدان طبعة الهلال ١٩٣٧

٦- تراثنا العربي في الأدب المسرحي د/ إبراهيم درديري الرياض ١٩٨٠

٧- دراسات في القصة والمسرح محمود تيمور المطبعة النموذجية بدون تاريخ

٨- دراسات في المسرح المعاصر محمد السيد عيد العدد ١١ من كتابات نقدية ١٩٩٥ ٠

٩- عن مسرحيات عزيز أباظة د/ عبد المحسن عاطف سلام منشأة المعارفى ١٩٦١ ٠

١٠- علـي أحمـد باكثير ٠ حـياته وشـعره الوطنـي ٠د/ أحمـد عـبدالله السومحي . جدة بدون تاريخ ٠

١١- في المسرح العالمي . د/ محمد مندور نهضة مصر بدون تاريخ .

١٢- فـي الأدب المسـرحي في العصور القديمة والوسطى ، محمد كامل حسين ، بيروت ١٩٦٠ ٠

١٣- في المسرح المصري المعاصر خيري شلبي دار المعارف ١٩٨١

١٤- قضايا المسرح المصري المعاصر د/ أحمد سخسوخ ، العدد ١٨ من كتابات نقدية ١٩٩٣ ٠

١٥- قالبنا المسرحي توفيق الحكيم طبعة ١٩٨١ ٠

١٦- محمـد فـي الأدب المعاصـر ، فـاروق خورشـيد وأحمـد كمـال زكـي ١٩٥٩ ٠

١٧- مسرح توفيق الحكيم د/ محمد مندور نهضة مصر ١٩٦٠ ٠

١٨- المسـرح العربـي بيـن النقل والتأصيل ، كتاب العربـي الثامـن عشـر الصادر في يناير ١٩٨٨ ٠

١٩- المسـرح والـتراث العربـي د/ سـمير سـرحان العـدد ١١ مـن الـثقافة الجماهيرية ١٩٨٨ ٠

٢٠- المسرحية في الأدب العربي الحديث د / محمد يوسف نجم بيروت ١٩٨٠ .

٢١- المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها عمر الدسوقي دار الفكر العربي ١٩٦٢ .

٢٢- نحو أدب إسلامي معاصر أسامة يوسف شهاب عمان ١٩٨٥.

٢٣- النقد المسرحي في مصر د/ أحمد شمس الدين الحجاجي ، العدد ١٧ من كتابات نقدية ١٩٩٣ .

الموعد التائه

شعر
محمد فتحي قصار

"ما أحلى الوصلَ وأعْذبهُ

لـــــولا الأيـــامُ تُنكّـدُهُ"

.... الحصرى القيروانى

يا ليلُ حبيبــى مَوْعــدُهُ

بعيونِ نجومكَ أرْصُدُهُ

يحدونى الشوقُ لغايتــهِ

وبكل جنونى أنْشــدُهُ

وأمـزّقُ نَبْضَ القلْبِ لــهُ

نغماً بالـــروح أردّدُهُ

وأسامرُ بـدرَ الليلِ عَسىَ

يلْقى عيْنَيهِ فيُرْشِــدُهُ

وأوشوشُ همْسَ قسَائمِهِ

فتَمر ويبقى أســوَدُهُ

وخُطاهُ تَمُرّ على كبــدى

فيكادُ الخطْوُ يُبَــدِّدُهُ

وظلامُ الليل هنا قــدَرى

والنــومُ عَصى مِقْوَدُهُ

والفَجْرُ شراعٌ مصلــوب

والحَيْــرَةُ ريحٌ تُجْهِدهُ

دقات الساعة تعصرنــي

ويخونُ القلْبَ تَوَفــدُهُ

وأنا لا أبــرحُ منتظــراً

أمـلاً يُشجينى مـوردُهُ

قد تاهَ المَوْعـدُ وا أسفــا:

وبحُلمِ خيالى أشهــدُهُ

والقلبُ يُسائلنــى جَزَعــاً:

أيرق لدَمْعِكَ جلْمـدُهُ؟!

أيخونُ الحُــبَّ وتحْملــُهُ

وتعيشُ العمرَ تَعَهَّدُهُ؟!

وتُحلّل قتــلكَ نظرتُـــهُ

وبدنيا الشعر تُخَلّدُهُ؟!

أتبيتُ تصونُ مـوَدتــهُ

وعذابَ الوحدةِ تَحْصُدُهُ؟!

إنى- والله- لفــى عَجَبٍ

مما ترعـــاهُ وتجْحَدُهُ!!

يا قلب تجَلّدْ .. يــا ألمى ..

فعَزَاءُ القلــبِ تجلُّدُهُ

واسْتَسْقِ الموعد فى أملٍ

فالصُّبــحُ قريبٌ مَوْلِدُهُ

وحبيبى وعــدٌ مبتهــجٌ

رنّاتُ الطَّيــرْ تنضــدُهُ

وحَفيفُ الــوردِ ينْغّمُــهُ

وربيعُ الفرحة يُنْشِــدُهُ

وطلوعُ الشمس ومغربُها

بمرايا الــروح يُجَسِّــدُهُ

ونَسيمُ الرَّوضِ يذكرُنــى

ويمرُّ كمــا مــرَتْ يَــدُهُ

وخريرُ الموج يبادلنـــى

ذكرى بالصـــدر تُفَقّدُهُ

والغُصْنُ يميسُ كمشيَتِـهِ

ويحاكـى القَـدَّ تـأوُّدُهُ

وأنادى والأيام صَـدىً

لنـداءِ الشـوقِ تُجَدِّدُهُ

يا مَنْ أرْدتنى نظرتُـهُ

وأهـاجَ الفَنَّ تَطَرُّدُهُ

ورمانى حتى أعقبنـى

جُرْحاً مـا عشتُ أضمِّدُهُ

وأسال دمائى فاندفَعَـتْ

كالنهـر الظامئ تَقْصِدُهُ

تتنادى أشعاراً حَـرَّى

تـروى معناهُ وتُسْعِدُهُ

أحبيبَ الروحِ وسلوَتهـا:

الحبُّ تهـاوىَ فرْقدُهُ

ذبُلَتْ فى بُعدك زهرتُـهُ

وتَحَيَّرَ فيـه مُغَـرِّدُهُ

والصَّمْتُ اغتال بلا بلَـهُ

وخلا للبـومة مَقْعَـدُهُ

أترقٌ لغــادٍ مشـــدوهٍ

عــادَى جنبيه مـَرْقدُهُ؟!

أعياهُ الصَّبْرُ وأحرَقــهُ

والصَّبــْرُ بطئٌ مُنْجِدُهُ

لا يدرى مـــاذا يفعلــهُ

غير الأشجـان تُسهـدهُ

يلْحوهُ الأهلُ وما عرفــوا

أن الآلام تُقيِّــــــدُهُ

السَّهْـمُ ثوَى فـى مُهْجِيْهِ

هل تدرى من ذا سدَّدَهُ؟

لمَّـــا أدمَيْتَ حشـاشتَهُ

وسعى واشوهُ وحُسَّدُهُ

لم يــدروا أنَّكَ قاتِلــــُهُ

وعتىٌّ هـــواك مُبَدِّدُهُ

ورهيفُ لِحاظِكَ تُرْسِلـــهُ

وبصَدْر حبيبك تُغْمِـدُهُ

فارحَمْ- بالحبِّ- طلِيحَ ضَنَىً

يكوى الأفلاك تنَهُّـــدُهُ

يهفو للقائكَ فـى شَغَــفٍ

ومــن الأعمــاق يُمَجِّـدُهُ

والشــوقُ أذابَ صلابَتَــهُ

فإلامُ- بحبكَ- تُبْعِــــدُهُ؟!

والعُمْرُ تَسَرَّبَ من يــــدِهِ

فمتـــى يتحقَّقُ موعِـدُهُ؟

فمتى يتحقَّقُ موعِدُهُ؟؟

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

أثر قرّاء القرآن الكريم والمبتهلين في اللغة العربية

دكتور/ عبد الرزاق عبد الحميد حويزى

لغتنا العربية هى الأساس المتين الذي نبنى عليه صرح حياتنا، والمرآة التي تنعكس على صفحتها الصقيلة مظاهر حضارتنا، والمحيط الزاخر الذي ننهل منه علومنا، ونستمد منه مبادئ شريعتنا وأسس عقيدتنا، فلغتنا العربية هى فكر أمتنا، وقلبها النابض، ووجدانها الصادق، وهى الوجه النَّيِّر لأصالة ماضى أجدادنا، والجانب المضئ لعظمة حاضرنا، والأمل الزاهى لمستقبلنا المشرق، الزاهر، ومن ثم يجب علينا أن نحافظ عليها، وأن نذود عن ساحتها بكل ما نملك من جهد ووقت، وأن نرد عنها كيد الأعداء والحاقدين، وسهام الخصوم، والمارقين، ولن يتأتى لنا ذلك إلا بالعكوف على دراستها دراسة عميقة تستوعب كل علومها، وفروعها، ومسائلها، ودقائقها، ورحم الله- عز وجل- الدكتور طه حسين"، فقد قال: إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصى الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً".

ومما لا ريب فيه أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة العربية والدين الإسلامي لا ينكرها إلا حاقد أو عدو لدود لهما، فاللغة العربية هى اللسان

الذرب لهذا الدين، واليعبوب الذي يضم بين شاطئيه كل دقائقه، والوسيلة التي تساعد على نشره وترسيخه في أفهام العامة والخاصة، وتظهر الاصرة القوية والعلاقة الحميمة بين الدين الإسلامى والقرآن الكريم واللغة العربية في أنه لا إسلام بلا قرآن، ولا قرآن بغير اللغة العربية.

وما من شك في أن للقرآن الكريم أثراً عظيماً في اللغة العربية، فقد وَحَّدَ لهجاتها، وهذبها من أساليب الركاكة والابتذال والتعقيد بنوعيه اللفظى والمعنوى، وحافظ على نظامها الصوتى والأدائى، ونَقاها من اللحن الخفي والجلى.

ولسنا بصدد الحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، فهذا أمر أدركه وأقَرَّ به الجميع، وإنما بصدد الحديث عن الدور الجليل والأثر العظيم الذي يقوم به قراء القرآن الكريم والمبتهلون في خدمة اللغة العربية.

إن لقراء القرآن الكريم والمبتهلين دوراً خطيراً وأثراً محموداً في خدمة لغتنا الجميلة، ولا غرابة في ذلك، فهم يتلون كتاباً عجز الثقلان كل العجز على الإتيان بمثله، إنهم يتلون كتاباً بلغ الذروة في الفصاحة والبيان، والإعجاز والإيجاز، كتاب الله- عز وجل- الذي قال عنه- تبارك وتعالى- ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ وما ظننا بمن يتلو أشرف كتاب،

وأرقى أسلوب في البلاغة والبيان، إنه ليحتشد له احتشاداً، ويحاول بكل ما أوتى من طاقة، وما منح من موهبة أن يتلوه حق تلاوته امتثالاً لقوله- تبارك شأنه: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾.

إن القارئ الذي يجند نفسه لخدمة كتاب الله- جل ثناؤه- إنما يقوم بجهد رائع مشكور، ودور بارز محمود- بقصد أو من غير قصد- في خدمة اللغة العربية، وذلك لأن السامعين يكونون منصتين له أتم الإنصات، ومتجاوبين معه أثناء تلاوته- لا سيما إذا كان عذب الصوت رخيمه- فيحفظون منه كثيراً من الألفاظ الجزلة الفصيحة الرصينة التي تبتعد كل البعد عن الابتذال، والسوقية، والغرابة، والحوشية وتنافر الحروف، وكذلك يحفظون منه كثيراً من جمل القرآن الكريم وآياته التي تمتاز بالسلاسة والعذوبة، وحسن السبك، والسلامة من اللحن الخفي والجلى، ولا ريب في أن ما حفظه السامعون من الألفاظ الفصيحة، والجمل الدقيقة، والعبارات البليغة يظل عالقاً بذاكرتهم، محفوظاً بأذهانهم إلى أن يأتى الوقت الذي يفرض عليهم أن يستعينوا به ويوظفونه في أحاديثهم. ومن هنا يأتى دور القراء والمبتهلين في حفظ للغة، وما من شك في أن انتقال القرآن الكريم مشافهة بطريقة متواترة عبر العصور حفظ اللغة العربية أصواتها وحروفها، وضبط لها حركاتها، ونظامها الصوتى ونسقها الأدائى، والقراء هم همزة الوصل بين كتاب الله والبشر. ونسمع الآن عبر شبكة إذاعة

القرآن الكريم المصحف المرتل الذي يؤدى دوراً جليلاً في حفظ اللفظ القرآنى بوجه خاص، واللغة العربية بوجه عام، وصيانة اللسان العربى من الزلل والخطأ، ويعد هذا أثراً من آثار القراء في اللغة العربية.

ومن آثار القراء والمبتهلين في اللغة العربية أيضاً أنهم يحافظون على بقاء اللغة وصفائها فهم يحذرون كل الحذر- أثناء تلاوتهم- من الوقوع في اللحن بنوعيه، ويراعون أصول التلاوة الجيدة، والأداء الراقى، هذا بالنسبة للقراء، أما المبتهلون فنلاحظ أنهم يعمدون في إنشادهم إلى القصائد الدينية، التي تنهض على أساس من الفصاحة والبلاغة، وتحتوى على تراكيب سليمة، وأساليب قوية، وموسيقى آسرة، وفي توصيل ذلك للسامعين والجمهور خير وبركة على اللغة، إذ يعمل على حفظها نقية، وثباتها واستمرارها فصيحة، وفي ذلك محاولة لا تنكر آثارها الحميدة على اللغة العربية.

ومن هذه الآثار أيضاً أنهم يقومون بدور بارز في المحافظة على الصفات الصوتية للغة العربية، إذ يقبل القارئ والمبتهل- على حد سواء- بحماس شديد على دراسة صفات الحروف، ومخارجها، ومقاطعها، والنبر بأنواعه: الديناميكي، واللحني، والإيقاعي، ويحاولان توظيف ما درساه لخدمة التلاوة والابتهال، ومن المسلم به أن السامع إذا لاحظ القارئ أو

المبتهل وهو ينطق حرفاً بطريقة مرققة أو مفخمة حاول أن يقلده، وكذلك إذا لاحظهما وهما يخرجان الحرف كذا من مخرج كذا حاول أن يفعل مثلهما، وكذا إذا لاحظ منهما- ومن القارئ على وجه الخصوص- تطبيقاً لقواعد التجويد من إدغام، وإخفاء، وإقلاب، وقلقلة، وروم، وإشمام بذل طاقته ليحذو حذوهما.

ومن آثار القراء والمبتهلين التي لا تنكر في خدمة اللغة العربية أثرهم في الحفاظ على موسيقية اللغة العربية، حيث إن القارئ قبل أن يتقدم للقراءة يكون قد درس المقامات الموسيقية، والدرجات الموسيقية المختلفة، **﴿دو، فا، صول......﴾** وتأثيراتها النفسية، كما درس التنغيم والسلاسل الكلامية التي تؤدى إلى الوضوح السمعى.... ولا شك أن دراسة الموسيقى بالنسبة للقارئ والمبتهل تصقل موهبتهما، وترفدهما بالألحان الآسرة، والتشكيلات الموسيقية التي تمس شغاف قلوبنا، ومن ثم يعود النفع العميم على اللغة حيث إن المبتهل والقارئ يعملان جاهدين لإبراز موسيقى اللغة، ويبذلان جهداً واضحاً في المحافظة عليها، وكل ذلك يعد خدمة كبيرة يقوم بها القراء والمبتهلون تجاه لغتنا الجميلة.

وأثر القراء والمبتهلين في توحيد لهجات اللغة العربية ملموس، فمن المعروف أن لكل بيئة لهجتها في التخاطب فيما بينهم، فللسعودى لهجته

وطريقته في نطق الحروف، وللعراقى لهجته، وللإيرانى لغته التي تختلف في جوهرها عن لغة المصرى، وللباكستانى لغته التي تختلف عن لغة السورى ولكنهم جميعاً عندما يتلون القرآن الكريم يرجعون بكل حرف منه إلى أصله العربى الصحيح، ويراعون الأصول المرعية في التلاوة الجيدة من إظهار الحروف، وإخراجها من مخارجها الصحيحة، وتمييز بعضها من بعض، والتركيز على المشدد منها، ومراعاة غنتها، وترقيقها أو تفخيمها، ومد ممدودها، وتوفية حركاتها، ومن خلال هذا الدور استطاع القراء والمبتهلون أن يحدوا من انتشار وتعدد اللهجات العربية واختلافها وتباينها على الرغم من اختلاف البيئات ، واتساع الأقطار ، واختلاط الشعوب بغيرها، وتداخل اللغات في بعضها، وأن يجمعوا الناس على لهجة واحدة تكون قبلتهم وحجر زاويتهم في التخاطب والتعامل فيما بينهم.

وأثر القراء والمبتهلين في توضيح معانى اللغة ظاهر وواضح لكل ذى عقل حصيف، وقلب سليم، فأصول التلاوة الجيدة تقتضى الالتزام بالوقف حيث يتم المعنى، لا عندما يحلو للقارئ أو المبتهل، ولا عندما ينتهى النفس منهما، فلا يفصل القارئ في قراءته- والمبتهل أيضاً- بين المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل والمفعول، أو الصلة والموصول، أو الجار والمجرور، أو النعت والمنعوت، أو المضاف والمضاف إليه، أو

الحـال وصـاحبها، أو فعـل الشـرط وجوابـه، أو القسـم وجوابـه، أو المشـبه والمشبه بـه، إن القـارئ إذا حـافظ علـى الوقـف والابتداء فـي قراءته جـاءت واضـحة المعـانى، ظـاهرة الـدلالات وكثير مـن القـراء والمبتهلين يـراعون ذلك، بـل إن بعضـهم ليذهب إلى ما هو أعمق من ذلك، فيحاولون أن يحملوا أنفسـهم شـظف البحث والتنقيب عمـا يوسـع دائرة المعانى، ويكثفها ويثريها، وكأني بهم يتطلعون إلـى تفسير آيـات القـرآن الكريم وهم يتلونـها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، أسوق منها مثالين:

(أ) سمعت المرحوم الشيخ/ "محمد رفعت" وهو يتلو قول الحق- تبارك وتعـالى- فـي سورة لقمـان: **﴿وإذ قـال لقمـان لابنـه وهـو يعظـه يـا بنـى لا تشـرك بـالله، إن الشـرك لظلـم عظيم﴾** فقرأ القـارئ مـن بدايـة الآيـة إلـى أن وقـف علـى لفظ الجلالـة، وهذا وقـف جائز، وبه يتم المعنى، ولو بدأ القـارئ بعد ذلك وقرأ: **﴿ إن الشرك لظلم عظيم﴾** لكان ذلك حسناً، ولكن القـارئ ذهب إلـى مـا هـو أحسـن مـن ذلـك وأجـود، حيث بـدأ قراءته بقـول الله- عـز وجل- **﴿بـالله إن الشـرك لظلـم عظيم﴾** ومـن هنـا نـلاحظ أن القـارئ استفاد مـن حـرف الجـر ((البـاء))، ووظفـه توظيفاً حسـناً حيث جعلـه حـرف قسـم، وكـأن سيدنا "لقمـان"- رضـى الله عنه وأرضـاه- أقسم بالله لابنه بأن الشرك

ظلم عظيم، ومن ثم يكون القارئ بذلك قد هوّل من خطورة الشرك، وحذر من آثاره الوخيمة.

(ب) وسمعت الشيخ "محمد عبد العزيز حصان" ذات مرة وهو يتلو آخر سورة "الأحقاف" وأول سورة "محمد"- ص- في نفس واحد مع ترك البسملة هكذا.

﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ وكأنه يريد أن يقول: إن القوم الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وكأنى به يريد أيضاً أن يلمح إلى العلاقة القائمة والتناسب الحاصل بين سور القرآن الكريم كما وردت في ترتيب المصحف الشريف.

وقصارى القول وحماداه أن قراء القرآن الكريم يقومون بدور بارز وجهد مشكور في توضيح معانى اللغة العربية وإظهارها واضحة جلية، ومحاولة إثرائها وتكثيفها، وكيف لا تكون معانى ما ينطقونه جلية وقريبة من الأذهان وهم يراعون الأسس السليمة في النطق، ويحرصون على تطبيق كل قاعدة يتطلبها الأداء الإقرائى.

✿✿✿✿✿✿✿

مأساة القدس في الشعر النزاري

دكتور / صبري أبو الحسن
كلية اللغة العربية بالزقازيق

منذ بزغ الإسلام بنوره، والصراع دائر بين الحق والباطل: الحق الذى جاء به ديننا الحنيف، والباطل الذى ران على قلوب البشر حقباً طويلة، فكان الإسلام - ومازال- يجاهد فى أن يمحقه بكل ما أوتى من أسلحة.

والجهاد اللسانى أحد الأسلحة المميزة فى تاريخ الإسلام منذ الهجرة النبوية حتى آننا هذا، خصوصاً الصادر عن الشعراء المخلصين، لما يتركه شعرهم من أثر دائم فى النفوس، حتى يبقى محفوراً فى الذاكرة، محفوظاً فى الأذهان، مرددا على كل لسان، يرويه الخلف عن السلف.

وتزداد قيمة الشعر حين يكون تمجيداً للبطولة والأبطال وتسجيلاً لمواقف الشرف والإباء، وتعبيراً عن الأمل المرتجى، ومشاركة وجدانية عندما تعز المشاركة الفعلية، وخطاباً مرا للقاعدين والمنشغلين بخصوصياتهم، وللمرجفين المشككين فى طريق النصر.

وشعر نزار قباني السياسي فيه هذه السمة الفريدة، إضافة إلى مقدرته الواضحة في الوصول إلى الناس جميعاً، على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم.

إنه شعر صادر عن "شاعر مطبوع، يمتلك موهبة استغلها أحسن استغلال، في معالجة مشاعره، أو قضيته التي عنى بها، فهو شاعر مخلص لوجدانه، مؤمن بعقيدته، جسور لا يبالي، لا يهمه أن صدم تقليداً أو عرفا، إنما المهم أن لا يصطدم بنفسه وبقلبه، فهو لا يقبل الانشطار". (١)

إنه شاعر تصادمي ثائر متمرد، يقول:

ما هو الشعر إذا لم يعلن العصيـــــــان؟

ما هو الشعر إذا لم يسقط الطغاة والطغيان؟

ما هو الشعر إذا لم يحـــدث الـــزلـــزالا

في الـــزمان والمكـــــــان؟(٢)

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

---

(١) من مقال "أبعاد منسية في النزاريات" للدكتور / عبد الباسط عطايا، في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية جـ١٤ ص١٠٣.

(٢) ينظر قصائد مغضوب عليها ص٣٥، منشورات نزار قباني ط بيروت عام ١٩٨٦م.

فشعره سلاحه فى آمال وطنه وآلامه، ذلك الوطن الذى يخاطبه قائلاً:

يـــا وطنى الحزيــــن
حولتنـــى بلحظـــة
من شاعر يكتب الشعر والحنين
لشـــاعر يكتب بالسكيـــن (١)

✿✿✿✿✿✿✿✿

وما كان لشاعر هذا شأنه أن يتخلف عن مأساة القدس، ذلك الجرح النازف فى كيان الأمة الإسلامية والعربية، الذى يواجه خطراً داهماً، وكابوساً جاثماً جعل الواقع دامياً لا يرضاه عاقل.

لقد صور نزار هذه المأساة تصويراً شعريا شاملاً، فى قالب إيقاعى سهل فى ألفاظه وتعابيره، ممتنع صعب على غير شاعرية نزار، حيث الحلاوة والعذوبة والانسياب، بلا نتوء أو انحراف، وذلك فى قصيدته "القدس".

---

(١) الأعمال السياسية الكاملة جـ٣ ص٧٣، منشورات نزار عام ١٩٩٣م.

فقد جاءت هذه القصيدة فى أربعة مقاطع، كل مقطع يتناول القضية من جانب معين، على النحو التالى:

❖ القدس ومكانة الماضى:

واضح فى المقطع الأول من هذه القصيدة أن نزاراً عاشق للقدس، مدرك لمكانتها ومن ثم فهو متألم لألمها، ومتأثر بواقعها، يقول:[١]

بكيت حتـــى انتهـت الدمــــوع
صليت حتـــى ذابـت الشمــــوع
ركعت حتـــى ملنــى الركـــوع
ســـالت عـــن محمـــد
فيـــك وعـــن يســـوع
يا قدس يا مدينة تفـــوح أنبيـــاء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسمـاء

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

(١) راجع القصيدة فى المرجع السابق جـ٣ ص١٦٠، وما بعدها.

إنها بقعة مباركة، تمثل منبع الطهر الإلهى، وتستحق التألم لحالها، والتضرع إلى الله بالعبادة من أجلها، عبادة صادقة مخلصة، بلا توان أو كسل.

❖ **القدس وآلام الواقع:**

إن مفتتح القصيدة يثير سؤالا ملحاً عن سبب هذا الاستهلال الرثائى الحزين، إنها الآلام، عناصر المأساة التى تعيشها القدس، يقول:

يا قدس يا منـــارة الشرائـــــــــــع
يا طفلة جميلـــة محروقة الأصابـــــع
حزينة عينـــاك يا مدينة البتــــــــول
يا واحـــة ظليلة مر بها الرســـــــول
حزينـــة حجـــــارة الشــــــــوارع
حزينـــة مـــــــآذن الجوامـــــــع
يا قدس يا مدينة تلتـف بالســـــواد
من يقرع الأجراس فى كنيسة القيامة؟
صبيحـــــــــة الآحـــــــاد..

❁❁❁❁❁❁❁❁

ذلك هو واقع القدس، حزن جاثم، سواد داهم، خمود، سكون، لا حركة، لا حياة، لا دين، لا دنيا.

❖ القدس والبحث عن الخلاص:

غاث اليهود فى القدس فسادا، فخرجوا، ودمروا، وقتلوا وشردوا، وسط صمت مهين، وصراخ صادر من ضعاف، يواجهون الغدر، والخيانة، والفقر والإهانة، منتظرين الخلاص، باحثين عن المنقذ.

يقول نزار:

يا قدس يا مدينة الأحزان

يا دمعة كبيرة تجول فى الأجفـــــان

من يوقف العـــــدوان

عليك يا لؤلؤة الأديـــان؟

من يغسل الدماء عن حجارة الجدران؟

من ينقذ الإنجيـــــــل؟

من ينقذ القـــــــرآن؟

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المســيح؟

من ينقذ الإنســـــان؟

إن هذه الاستفهامات المتتالية تعبر عن اضطراب، وحيرة، وتشوق، وحزن شديد، وغير ذلك من المشاعر التى تسيطر على شاعرنا بسبب ما يحدثه اليهود بالقدس من عدوان شامل على كل مناحى الوجود ، لا فرق بين جماد وإنسان، وكتب مقدسة، وتلك طبيعة اليهود فى كل عصر ومصر.

ولكن يؤخذ عليه قوله "قتلوا المسيح" فذلك مخالف لما قررته سورة النساء عن سيدنا المسيح عليه السلام.

❖ القدس وأمل المستقبل:

لم يقف نزار عند كشف واقع القدس وتعديد آلامه، بل يختم قصيدته ختاماً شعرياً رائعاً، فيه استشراف للمستقبل، وتبشير بخلاص قادم يقول :

يا قدس يا مدينتـــــــــى

يا قدس يا حبيبتـــــــــى

غداً غداً سيزهر الليمـون

وتفرح السنابل الخضراء والغصون

وترجع الحمائم المهاجرة

إلى السقوف الطاهـــرة

ويرجع الأطفال يلعبـــون

ويلتقى الآباء والبنـــون

على رباك الزاهـــــرة

يا بلدى، يا بلد السلام والزيتـــون

✿✿✿✿✿✿

لقد استخدم نزار صوراً جميلة بشوشة مفرحة للتعبير عن مستقبل القدس وقادم أيامها، صوراً فيها إيقاع خفى لذيذ، يدل على موهبة عالية تملك أدوات التأثير الشكلية والموضوعية فى نفوس المتلقين.

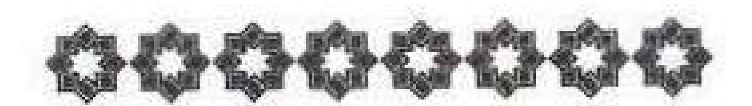
وذلك ما جعل الختام قوياً مؤثراً، لا يمكن الزيادة عليه، ولا يتوقع أن يأتى بعده أحسن منه.

إنه تذييل معقول ومتوقع لهذا النص الشعرى النزارى البليغ فى معناه ومبناه، ذى الوحدة الموضوعية والفنية المتميزة، إذ يسلمك كل مقطع إلى أخيه، وتنتقل بك كل فكرة إلى لاحقتها، بلا كلفة أو إعنات.

وقد تخلص نزار فى هذه القصيدة من عيب واضح فى شعره السياسى كله، وهو السخرية من العرب شعباً وتاريخاً ومقومات، لأن ذلك

من شأنه أن يشيع اليأس و القنوط فى النفوس، وذلك شعور كان نزار يحاربه فى هذه القصيدة، كما ينطق بذلك منهجها الفنى.

وبمثل هذه النزارية فى شكلها ومضمونها، ينبغى أن يتعامل الشعراء المعاصرون مع آلام الأمة، حيث حسدنه الصورة، وحقنها بالمشاهد الحسية، وإمدادها بأسباب الحياة وكهرباء اللحظة المعاشة، ومن ثم كان ضمير الأمة ونبض قلبها، وروح شعبها، وصوتها المدوى فى الأرجاء، معلناً معالم الحقيقة وأطرها، وتلك مهمة الفنان الشاعر.



حوار مع الشهيد

الفلسطينى البطل

شعر

د/ محمد عبد المنعم العربى

الأسئلة:

وقالوا: لمــــاذا تُفجرُ نفسكْ؟!

لماذا تُبعثرُ فى الجو رمسكْ؟![1]

وتترُك أنسك! وتهجرُ عُرسكْ!

وتطفـــئُ شَمســـــكْ؟!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

لماذا زهدت نعيم الشبـــــاب؟

وبرد الشراب؟ وعزَّ الصِّحاب؟

وغضَّ الإهاب! وسُكنى القِباب!

وحُلـــم (الرَّبـــــاب)؟!

---

(١) الرمس: القبر.

لماذا رَحلت كومض السحـاب ؟ !

كقصف الرُعود كضوءِ الشهـــاب؟!

✿✿✿✿✿✿✿✿

أأنتَ عَدُو لهذى الحيـــاة؟

أأنت صديق لأ رب الوفاةِ؟!

أتهوى طريق الرَّدى والشتاتِ؟!

أأنت بحقٍ بغيضُ النجاةِ؟!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

عهدناك فينا سليم الحصـاة![1]

رقيقَ الحواشى، عظيم الأناةِ![2]

كريم العَشىِّ، وسمح الغـداةِ!

مقيم الصِّلاة ومؤتى الزكـــاةِ!

حميم الإخاءِ جميل الصفاتِ!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

---

(١) الحصاة: العقل والرأى.

(٢) الأناة: الحلم والوقار.

لماذا لماذا ؟ وما سر هذا؟

أجبنا بربك! أجبنا بربك!

وأفض إلينا بأسرار قلبك!!

✿✿✿✿✿✿✿✿

الأجوبـــة:

لأنى رأيت قطيع الذئـــابِ!

نذيــــــر الخـــــرابِ!

يعيث بسهلى، ويحتاج حقلى!!

يسمم بئرى، ويسرقُ نهرى!!

ويهلك بالبغى حرثى ونسلى!

ويغتال بالغدر أمى وطفلـــى!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

لأنى رأيت الظلـــوم الغشـــوم!

يُحطمُ بابى!، ويحرق غابــــى!

يمزقُ عرضى! ويحتـــل أرضى!

ويمحو من الكون نفلى وفرضى!

يدنس أفقى!، ويطمس حقّـــــىِ!

يعيش ببؤسى!، ويحيا بتعســى!

ويسعى حثيثاً ليهـــدم (قدسى)!!

ويجتثّ جنسى، ويومى وأمسى!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

أأتركهُ- بعدَ هذا- يُغنّى؟! ويحظى بأمـــــن!

وأمنى [1] وقومى بأفدح غبن! وبغى وسجن!!

وكيد وضغن! وطردٍ وبين![2] وقهرٍ وحيـــن![3]

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

أليس الشريعةُ نفساً بنفسٍ وعينــــاً بعينٍ؟؟

وأنفاً بأنفٍ؟ وأذناً بأذنٍ؟ وسناً بســـــنٍّ؟

---

(١) أمنى: أصَاب.

(٢) البين: الإبعاد.

(٣) الحَيْن: الهلاك.

وخوفاً بخوفٍ؟ وأمناً بأمــــــــــــن؟؟؟

✡✡✡✡✡✡✡✡✡

ألم يكتب الله ذا فى الكتابِ؟

وكلِّ دَسَاتير أهل الصَّـــــواب؟

بتوراة (موسى) وإنجيل (عيسى) وقرآن (طه)؟

وذلك ماض ليوم الحســـــابِ؟!

✡✡✡✡✡✡✡✡✡

هو الرَّدُّ منى وليس ابتــداء!

هو الصد عنى وليس اعتداء!

جنود العصابات قد بدءونـــا!

وقد هاجمونا وهم ظالمونـــا!

وقد أرهبونا وهم مجرمونـــا!

قساة عتاة فلا ينتهونــــــا!

لروح البرئ هم المزهقونا!!

لأزكى الدماء هم السَّافكونا!!

وأضحوا لأبياتنا هادمينـــا!

وأمسوا: زراعاتنا قالعينـا!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

بأعتى الـدُروع هم يحتمونا!

وفى جوف دبابة يقبعونـــا!

جبانون مـن غير ذا يدبرنـا!

على قومنا العزل يستأسودنا!!

لمعشار[١] مانا بنا يصرخونا!

فبعـداً وسحقاً لما يأفكونا!![٢]

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

بلاءُ (فلسطين) شرُّ البليـه!

ورزء (فلسطين) أدهى رزيـه!

تداعت عليها قوى الجاهلية فصارت ضحيه!!

وإنقاذها بالنفوس الذكيـه

(١) المعشار: الجزء من العشرة.

(٢) يأفكون: يكذبون.

تبـــــاع لرب كريم العطيه!

فجسمى وروحى إليها هديه!

وإنى لصاحب تلك القضيـــه!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

سأرفض ظلما أتاها عشيه

وترفضه كل نفس أبيه!

فأهلاً بوردِ حياضِ المنيه!!

✿✿✿✿✿✿

هو الإضطرار وليس الشهيه!

وإنى لصاحب هذى القضيه!!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

لقد صنعتهم يدُ الآثمينـــــــا

ركيزةَ شر تُعربد فينــــــــا!

وقد سلحوهم وقد جردونــــا

وقد مكنوهم وقد كبلونــــــا!

بلا علة لهـــــمو قتلونـــــا

ومن أرض آبائنا شردونـــــا!

سوى أن يسودوا وأن يغصبونا

سوى أن يقيموا وأن يطردونا!

لقد روعوا أمـــة الآمنينـــــا

وعاثوا فساداً وجنوا جنونـــاً!

ألم يطئوا مسجد المؤمنينـــــا؟

ألم يصرعوا الرّكع السَّاجدينا؟

أذاقوا الضِّعاف عذاباً وهونـــاً

ولم يرحموا مرضعاً أو جنيناً

وشيخاً كبيراً يئن أنيناً

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

فهل يقبل الحر تلك المهانه؟ وتلك المجانه؟[١]

لبئس الخيانه وبئس البطانه!!

وأين الأمانه؟ وأين الصيانه؟!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

سنين طوالاً نشدت العداله!

فلم ألق يا قوم إلا النذالـه!!

---

(١) المجانة: قلة الحياء وعدم المبلاة.

وقد خيم اليأس فى كل حاله

وأحبطنى لؤم أهل السفالهْ

فثرت أحارب جند الضلاله!!

بنفسى وروحى بعد الحجاره

وما بيدى غيرها والمرارهْ!

وإلا الفداء وإلا الجســــارهْ

وإلا فؤاد مللت اصطبارهْ!

وإلا دمٌ قد نذرتُ انهمارهْ!

فبالله لو كنت أنت مكانى! وذقت هوانى

وعانيت فى محنتى ما أعانى!!

فهل كنت تقبل؟ وهل كنت تبخل؟

أما كنت مثلى تفدى وتبذلْ؟ أما كنت تفعلْ؟!

بقلب رضىٍّ ووجهٍ تهلل؟؟

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

سأفعل شيئاً قبيل انتقالى

لساحة رب الهدى والجلال!

سأدرك ثارا، وأرجو انتصاراً، وليس انتحاراً، وليس انتحاراً!

أفدي الديار ، وأمحق عـــارا

أرد اعتبارا ، وأمحو شنارا !

لأجل الأساري لأجل العذارى

شأجعل سلوى نورا ونـارا !

فنور لقومي يعلى المنارا

ونـار تبدد حلم السكارى

وليس انتحارا ، وليس انتحارا

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

فلسطينُ أمّي فلسطين همى

فلسطيـنُ حُلمـى أراه جليــا

لأهل السَّماء خلصت نجيـــا

وكنت الوصيًّا وكنت الوليا!

سأمضى شهيداً شريفاً قوياً

نذيراً وصوْتى يدوى دويا!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

دمى لن يضيع- وربِّى هباء

سيثمر عزاً سيغدو شفاء!

سيروى التحرُّر يغذو الإباء

ويشرعُ للماجدينَ الوفاء!

✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

ولمَّا بدأت بنفسى أجــودُ!

وسار على الدَّرب منَّا أســـودُ!

وحلَّ النَّكال وخابت (ثمود)

وحقَّ على المجرمين الوعيـــدُ!

وجاء قصاصٌ وعدلٌ أكيد

يقول الجحودُ، ويهذى الكنودُ، وينفى الحقودُ!!

وإنى على رغمهم للشهيدُ!!

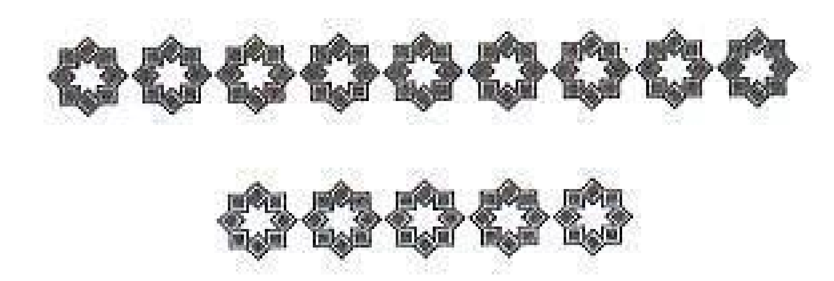
✿✿✿✿✿✿✿✿✿✿

طريقى سَديدٌ، ورأيى رشيدٌ، ودربى فريدُ، وعزمى مبيدُ!

نضالى مَجيدُ، وقلبى حديدُ، فدائى عتيدُ، وبأسى شديد!

جزائى خلود وإنى سعيدُ!!

وربِّى الشهيدُ بأنِّى شهيدُ!!



أبو لهب... موضوعاً للشعر الإسلامي

بقلم الأستاذ
محمد أبو أحمد

أبو لهب أو "عبد العزي بن عبد المطلب" هو عم النبي صلي الله عليه وسلم، ولكنه وقف موقفاً مخزياً من الدعوة الإسلامية، وكان معوقاً من معوقات الدعوة، وحاجزاً يصد الناس عن الدخول في الدين الجديد.

أنزل الحق سبحانه وتعالي في شأنه وشأن زوجته قرآنا يتلي إلي يوم القيامة يتوعده فيه بالويل والهلاك، وقد خلده القرآن الكريم أنموذجاً ورمزاً للشر والعناد.

والسؤال الآن: هل انتهي دور أبي لهب في الصد عن الدعوة والإفساد في الأرض بمجرد موت **((عبد العزي بن عبد المطلب))؟** والجواب المتوقع: أن نعم ، انتهي دوره لكن شاعرنا الدكتور وليد قصاب كان له رأي آخر في قصيدته المسماة **(أبو لهب).**

فالشاعر قد اتخذ هذه الشخصية ليجعلها موضوعاً لقصيدة تعد أنموذجاً للأدب الإسلامي، الذي يحمل علي عاتقه مهمة كشف الرذائل

وتصوير بالصورة التي تنفر منها ولا تحبب فيها هذه المهمة من جانب آخر تعد تربية للمجتمع وتحصيناً لأفراده.

قصيدة الشاعر مكونة من ثمانية مقاطع، وعدد أبياتها ثمانية وثلاثون بيتاً، والمقطع الأول فيها يبدأ ببيت يحمل الدعاء علي أبي لهب مثلما جاء في السورة الكريمة حيث قال شاعرنا:

تبت يداك أبا لهب   وسقيت جرعات العطب

ولكن لماذا هذا الابتداء القوي، أو الابتداء المقتبس في روحه من القرآن الكريم لقد كان فيما قرره القرآن الكريم ما يكفي لعبد العزي بن عبد المطلب، ولكن الشاعر وجد أن أبا لهب هذا قد عاد حياً من جديد ولذا لابد من الدعاء عليه مرة أخري حيثما وجد زمانا أو مكاناً:

قد عدت حياً بيننـــــا   من بعد آلاف الحقـــــبْ
فأقمت صرحاً شامخاً   وشددت في الصخر السببْ
وضربت قبة سيـــد   نقشت بألوان الذهـــبْ
فجثا إليك المعجبـــو   ن من الأعاجم والعـــربْ

✿✿✿✿✿✿✿✿✿

هذه هي الحيثيات التي دعت شاعرنا إلي تكرير الدعاء أو اقتباسه من القرآن الكريم، يتضح من خلالها أن أبا لهب ليس الشخصية التي انتهى أمرها بل لنقل إن لكل عصر "أبا لهبه" بصفاته النفسية وأحياناً الجسمية التي تجعلنا نردد القول الكريم ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾.

يبدأ المقطع الثاني من القصيدة كذلك بالدعاء:

تبت يداك أبا لهب رمز الغواية والدجل

وإذا كان المقطع الأول قد أعطي خلفية عن أبي لهب وصور عدة صور خارجية تتمثل في صرحه الشامخ وقبته المموهة بالذهب والمعجبين المحيطين بهذه الشخصية، فإن المقطع الثاني يتعمق الشخصية نفسها ويحولها إلي رمز للضلال والجهل والغواية ومع ذلك لازال الناس يعتبرون من يتصف بهذه الصفات بطلاً ولا يسمونه باسمه الصحيح "أبو لهب".

رمزاً لجهل مطبق مستفحل منذ الأزلْ

ولكل ألوان العمـــا ية أطفات نور الشعلْ

ولكل من عبد الجهـا　　　لة أو سواعاً أو هبـــلْ

شلت يمين أبي لهب　　　في عصرنا صار البطلْ

✿✿✿✿✿✿✿✿

فـي المقطـع الثالـث والـرابع يصـور الشـاعر تـأثير أبـي لهـب، تأثيره علـي الأجسام والعقول ، فالأجسام مستبعدة له والعقول مأخوذة بسحره:

في كل زاوية تري　　　من يصدعون بما أمر

انظر إلي سحر هذه الشخصية واستيلائها علي الأشخاص:

وتراه فيهم قاضياً　　　وإليه قد شخص البصر

وعقولهم مأخوذة　　　من سحر قول أو خبــر

✿✿✿✿✿✿✿✿

العقول كذلك مستبعدة له:

فاستبعد العقل الكريـ　　　ـم ومن تعلم واطلـــعْ

فتراهم جنداً لـــــه　　　وهو الأسير المتبـــعْ

وكأنما انسدل الظـلا　　　م علي العيون أو انطبعْ

✿✿✿✿✿✿✿✿

ماذا حدث للناس ألا يعقلون؟ ألا يعرفون الغث من السمين؟ هكذا يصورهم الشاعر، وقد أظلمت العقول والعيون والقلوب، فأصبح الحق هو وجهة نظر أبي لهب،ولأجل ذلك استحق هذا الدعاء:

فالحق ما سن الغوي وما ارتآه وما شرع
شلت يمين أبي لهب إن الجميع له تبع

❁❁❁❁❁❁❁❁

وفي المقطع الخامس والسادس والسابع لا زال الشاعر يصور، ويرسم هذه الشخصية بما يحيط بها وما استحقت أن تصل إليه نتيجة غفلة الناس عن حقيقتها، حيث أصبح أبو لهب متوجاً، يلبس الدمقس والحرير، ويسير علي فرش الديباج الفواحة بالعبير ، وتري حوله العبيد والخدم والطوائف التي تسير في ركابه تحمل صوره وتهتف باسمه وتدعو علي من يحاربه:

لبس الدمقس منعماً وجميع ألوان الحريرْ
من حوله خدم وعبـ دان تنفذ ما يشيرْ
فمشت بموكبه الطوا ئف كالحجارة لا تعدْ
في كفهم صور له حفت بها باقات وردْ

ويأتي المقطع الأخير مقرراً حقيقة عظمة أبي لهب من وجهة النظر القاصرة تلك:

وغدا أبو لهب عظيـــــ ـــما في السهول وفي النجاد
وارتد بعد الموت تمـــ ـــثال البطولة والجهـــــــاد

٭٭٭٭٭٭٭٭٭

وفي النهاية لا يستحق سوي الدعاء الخالد:

شلت يمين أبي لهب كم من مآثر قد أباد

٭٭٭٭٭٭٭٭٭

إن موضوع الأدب الإسلامي كما يقرر النقاد واسع وشامل، ولكن من خلال التصور الإسلامي ، ولذا لم يجد الشاعر أدني غضاضة في استخدام شخصية كافرة حاربت الإسلام ليجعلها موضوعاً لقصيدة شعر إسلامي ، فالغرض من القصيدة كشف وتعرية صور الكفر والنفاق والإدعاء والتعالم وكشف الزعامات الفارغة والفساد الذي يرتدي صور الإصلاح ، ولأن الشاعر يشعر بما لا يشعر به غيره فقد أراد أن يدق أجراس الخطر للمجتمع ليحذر هذه النوعية من الناس.

والشاعر يستخدم الوسائل الجمالية ليتوصل إلي هذه الغاية والتي تتمثل في أصالته حيث اقتبس شخصية من الموروث الثقافي اتسع لها صدر القرآن الكريم وخلدها بخلوده أما الشاعر فقد اقتبسها ليخلدها في صور الزيف والفساد التي تتكرر في المجتمعات، والشاعر مع اقتباسه الشخصية يقتبس الدعاء الذي ارتبط بها، ولكنه يلونه حسب نفسيته: تبت يداك أبا لهب، شلت يمين أبي لهب، تبت يمين أبي لهب، وهكذا مكرراً لهذا الدعاء تسع مرات، مأخوذاً بوجازته واختصاره في القرآن الكريم أو متفائلاً بإجابة الدعاء وانتهاء عصره وعصر أمثاله.

والقصيدة واضحة في ألفاظها ومعانيها، وإن كنا نجد من الألفاظ والصيغ ما يذكر باللغة التي كانت علي أيام أبي لهب مثل: جرعات العطب، شددت في الصخر السبب، الغواية والدجل، السهول والنجاد، كم من مآثر قد أباد، كما نجد من الألفاظ والصيغ ما يناسب لغة عصرنا وصوره، مثل: مشت بموكبه الطوائف، صور حفت بها باقات ورد، علا هتاف المعجبين، ضاع تاريخ البلاد، تمثال البطولة والجهاد وغيرها، كذلك نجد الشاعر وقد استخدم الصور الجزئية والكلية لرسم هذه الشخصية والتنفير منها، من ذلك: جثا إليك المعجبون، تراه فيهم قاضياً، كأنما انسدل الظلام عن العيون، تهجنت صور الكلام.

فإذا أراد الشاعر تصوير موكب أبي لهب قال:

تبت يمين أبي لهـب	**أغوي الكبير مع الصغيرْ**
فمشت بموكبه الطوا	**ئف كالحجارة لا تعــدْ**
من كل صوب ينسلـو	**ن كمثل سيل لا يــردْ**
في كفهم صور لـــه	**حفت بها باقــات وردْ**
وعلا هتاف المعجبين	**ولوحت كف ويــدْ**
شلت يمين أبي لهب	**راياته في كل نجـدْ**

✿✿✿✿✿✿✿✿

أما الموسيقي الخارجية للقصيدة فإنها تنبع من التزام وزن مجزوء الكامل مع تذييله في بعض المقاطع أما الموسيقي الداخلية فإنها تنبع من خفة حركات الكامل، واندفاع القارئ في القراءة كأن القصيدة رصاصة تخرج من فم القارئ لتستقر في قلب الشخصية أو كأنها الدعوة يرفعها الإنسان للسماء لتخلصنا من أبي لهب وأمثاله، هذا بالإضافة إلي التصريع في البيت الأول والخبن الذي يسكن حركة الثاني في بعض التفعيلات كذلك نجد التنوع في القوافي والذي يمثل جانباً من جوانب التحديد في موسيقي الشعر.

وبهذا تستكمل القصيدة جوانبها الموضوعية والفنية التي تجعلها أنموذجاً للشعر الإسلامي.

اعتذار إلى بغداد !!

شعر

محمد فتحى نصار

إلى بغدادَ أعلنتُ اعتـــــذارى   فلم تكن الهزيمةُ من قـــرارى!!
وقفتُ على حدودكِ ألفَ عـامٍ   أدافعُ عنكِ قطعانَ التتـــار!!
وكمْ من ليلةٍ ليلاءَ مــرَّتْ   بها حلَمتْ دروبُكِ بالنهـــار!!
وكم هلكَتْ على الأســوار جُنْدٌ   وكم هَوَتِ السماءُ إلى جـوارى!!
وكم وسَّدْتُ تحت الأرض شَهْماً   يموت لموتِهِ ركنُ اصطبــارى!!
وكم دافعتُ عن عينيكِ دَمْعـاً   له تهتاجُ أمواجُ البحـــار!!
وكم خَبَّأتُ وجْهَكِ فى قميصـى   أصونُ بهاءَهُ عن ظفْرِ ضـــار!!
وكم أخفيتُ صدرك عن مغيـر   بصدرى، وَهْوَ آخِرُ ما يـوارى!!
وكم نفَّضتُ عن خَدَّيك همــا   كأن نزوله رَمْىُ الجمـــار!!
وكم قبلت فى شفتيكِ وَعْـداً   تَجسَّدَ فى دمــى دون ازورار!!
ولكنى هَرمتُ وطاشَ سَهْمـى   وعدتُ مُحَطَّماً، دون اختيــار!!
ولم يَصْبِرْ معى إلا قليـــلٌ   ولم ينظر إلىَّ سوى انتظـــارى!!

ولم يثبتْ لدى الهيجـــاءِ إلاَّ شهيدٌ كان فى دَمِهِ احتضــارى!!

فديتُك.. قد عجزتُ اليوم وَحْدى عن النصر الذى يرضى اغترارى!!

وقفتُ بمفردى فى وجـهِ جَيْشٍ يُجرِّبُ كُلَّ أسلحة الدَّمـــار!!

وفرَّ الجُنْدُ من حولى، ومــاتوا وما صبروا على طول الحصــار!!

وَقَفْتُ أُدافِعُ الأشباحَ فَــرداً وأشعل فى ليالى الثلج نـــارى!!

أقاوم صابراً طوفانَ مـــوْتٍ وأثْبُتُ فى الوغى، رغْمَ انشطارى!!

أحاولُ أن أؤخِّرَ وَعْــدَ شُؤْمٍ يَحُــطُّ على الـرؤوس بلا انْزِجار!!

أُحاولُ أن أذُقَّ النَّصرَ سَيْفــاً يُدافِعُ سطــوَ أجنحةِ البـــوار!!

يقوم على ثغورِكِ مستميتــاً يحلقُ فى السماء بـلا انكســار!!

أحاولُ أن أقوم عليكِ درعــاً يدافع عنك أنياب السَّعـــار!!

أحاول أن أقودَ الشعر جَيْشـاً إلهيًّا يذودُ عــن الدَّمـــار!!

ويُلهب فيك إحساسَ التَّحَــدِّى فتمتنعيـنَ عن ذُلِّ الحــوار!!

وتشتعلين بعد اليأس نــاراً تُعيدُ الجامحيـن إلـى المســار!!

وتعتدلين من بعد انحنــاءٍ وتنطلقينَ من بعـد العِثـــار!!

فديتُكِ.. فاعذرينى، إن سَيْفى تغلغل فى ضلوعى بـاقتـــدار!!

فبَعْثَرَ أحْرُفى، وفرى ضميرى ومزَّقَ خَيْمتى بيـن الصحــارى!!

وقطَّعَنى، وخلَّفنى نُثــاراً وما لملَمْتُ شيئاً من نُثـــارى!!

وأفقدنى عروبة مفرداتـــى وألبسَها موازين احتقـــار!!

فيا بغـداد.. والكلمـات نـــارٌ ... وللتاريخ قلبٌ ذو اعتصـــار!!
سَقطْتُ على يديكِ شهيـد حُـبٍّ ... تكفَّنَ فـى دروبك بالغُبـــار!!
وعُدْتُ إليك بالخَجـلِ المـُدَمَّـى ... شهيدَ الجُبْن، منزوعَ الفخــار!!
أصابتنى الخيانــةُ من ورائـــى ... فأردتنـى على غير اعتبـــار!!
وداستْنى الهزيمــةُ دون وَعْـدٍ ... فشلَّتْ فيَّ أعوامَ ازدهـــارى!!
خُدِعْتُ عن الحقيقة، لــم أسَلِّـمْ ... ولـم أفتَحْ حصونك للشـــرار!!
وقد عشتُ الحقيقة، لم أخُنْهــا ... ولم أبع المواقف بالخســـار!!
رأيتُكِ- يا جميلةُ- رغم جُرْحـى ... ورغْمَ دموع آلامى الغـــزار!!
رأيتـك تسقطيـــن علـى لهيـب ... تأجج بيــن أطمـــاع صغـار ! !
رأيتُكِ تَسْقطين، ولم أدافِـــعْ ... وقد سقطتْ من الأفق الدرارى!!
رأيتُكِ تَسْقطين، سَقطْتُ همـــا ... هنا سقط المقدسُ من ثمـــارى!!
تحطَّمت التعاليم البوالــــى ... وسار الكون رحلة الانفطـــار!!
تزلزلت الحياةُ، فلا ثبـــاتٌ ... لسقفٍ، أو عمود، أو جــدار!!
وهذا منتهى ما شيـــدوهُ ... من الأحجار، يسبح فى انهيار!!
حضاراتٌ من الأسمنت تهـوى ... بلا روح، كأبنية الضــــرار!!
هنا سقطت حضاراتٌ كـذابٌ ... وعادت للتخلف والســــرار!!
هنا عشرون قرنًا في تهـاوتٍ ... وعدنــا للبـدايـة والتبـــار !!
هنا التاريخ قد سقطت منـــاهُ ... وسار على الــدروب بلا إزار!!

عصور الغـاب تخجل أن ترانـــا … وتدمغنا الوحـــوش بكل عار!!

أيا بغدادُ: ليـس لدى عـــــذرٌ … أصِبـتُ على حـــدودك بالدُّوار!!

سقطتِ، ولـم تكونى غير رمـزٍ … له سقطت كرامات الكبـــــار!!

هنا سقطـتْ عواصمنا جميعـــاً … وعدنا فارغين بـلا ادِّكـــــار!!

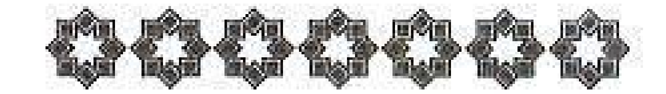
هنا سقـــط المغير، بغير كســبٍ … وسوف يعود موفور الشنـــار!!

هنا الأفــلاك أعلنت احتجاجـــاً … فأخرجها الإباءُ عن المـــــدار!!

أيا بغداد، يا ألمـى، وجرحـــى … وتـــاريخى، ومدرستى، ودارى!!

فديتُك.. فاعذرينى، خُنْتُ نفسى … رضيت من الغنيمة بالفـــــرار!!

فهل تجدين لى عُذراً إذا مـــــا … قتلتُ، وجئتُ ألهث باعتـــذارى؟!



قصيدة النثر إلى أين.. ؟!*

د/ أنور فشوان

قد يبدو للباحث المدقق أن ثمة من النماذج الأدبية التى كررت نفسها فى تاريخ الحركة الشعرية فى العصر الحديث، لا سيما فى إحدى هذه المغامرات الشكلية للقصيدة العربية التى أطلت علينا منذ أواخر الستينات، وقد بدأ العرب يكتبون قصيدة النثر (١) مما يعطى انطباعاً عاماً بأن الشاعر الحديث عندنا يبدو كأنه يصارع الزمن ويسابقه، فهو أبداً منقلب على نفسه

---

* هذه المقالة مجتزأة من كتاب: جهود النقد الأدبي عند الدكتور عبد القادر القط - للدكتور / أنور فشوان

(١) حاول بعض الأدباء أن يدخلوا الشعر المنثور على الدب العربى منذ بداية القرن العشرين، وهو شعر لا وزن له، وكاتبه قد يستخدم القافية أحياناً، غير أنه عادة ما يكتب بدون قافية، ثم راح الشعراء يكتبون قصيدة النثر فى أواخر الستينات مثل كتاباتهم للنثر تماماً، حيث تعتمد على الجملة الطويلة أو القصيرة، كوحدة لها، وعلى نماذج الإيقاع من جملة إلى جملة، بحيث يتبع الإيقاع المعنى والحافل والغاية، وينسجم مع الدفقة العاطفية، وتحدده الصور بتتابع الألفاظ [الشعر العربى المعاصر تطوره ومستقبله: سلمى الخضراء الجيوشى- مجلة عالم الفكر- مج٤ ع٢ يوليو ١٩٧٣م ص٤٤].

لا يكاد يجد حلاً لمشكلة الشعر الذى كان يكتبه الجيل الذى سبقه حتى يتاح له من يتهم شعره المتجدد بالرجعية والتأخر، وأظن أن هذا ما حدث إلى حد ما فى مجال الشكل الشعرى، ولكن علينا أن نضيف إليه عاملاً آخر هو كثرة التقليد والتكرار الممل المرهق فى الشعر الحر.

وإذا ما حاولنا أن نضع أيدينا على طبيعة الأسباب الحقيقية، والظروف والملابسات التى عملت على تشكيل هذا الصراع النقدى بين تيارات القدم والحداثة حول قضية الشكل والموسيقى فى القصيدة العربية، وبخاصة فى حياتنا العربية المعاصرة حيث شهدت كثيراً من المساجلات الساخنة حول هذه القضية على وجه الخصوص.. فلنا إذن أن نعوج بإطلالة سريعة على نقطة الانطلاق الأولى لهذه القضية، لا سيما فى تعريف الشعر عند "قدامة بن جعفر" الذى يرى أنه "قول موزون مقفى له معنى" والذى يفتقد أية إشارة إلى جماليات الشعر، باستثناء الإيقاع، وكأنه يرى أن الفارق الأساسى بين اشعر والنثر، إنما هو الإيقاع والموسيقى، وهو كلام وحضه العلماء، وردّوه إلى تأثره بمنطق أرسطو، وأنه كلام يناقض الذوق والواقع.

فإذا ما انتقلنا إلى ما عرف بعمود الشعر، وقد حدّده "المرزوقى" فى مقدمة ديوان الحماسة "لأبى تمام"،ونرى هل حظر هذا العمود التجديد أم لا..؟، والحق أننا يجب أن نشير ابتداء إلى أن عمود الشعر لا يحظر

التجديد، ولا يصادره، ولكنه يبيحه بشروط، هى فى الواقع سمات مستمدة من واقع الشعر العربى القديم، فيجدد من شاء، ولكن عليه أن يوافق عمود الشعر الذى يجمله "المرزوقى" فى أمور سبعة هى:

".. شرف المعنى وصحته، وجذالة اللفظ واستقامته، والإصابة فى الوصف... والمقاربة فى التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدّة اقتضائهما للقافية، حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر، ولكل باب منها معيار "(١)

ولا شك أن هذا التصور، قد أضاف بعض العناصر التى تتعلق بجماليات اشعر، خاصة فى مجال البلاغة، وقد انتقل هذا المفهوم بعد ذلك إلى مراحل متعددة، أضاف إليه البعض، وحاول البعض الآخر أن يقنن قواعد للشعر على أساسه، مع الوعى التام بجوهره المستقل، وطبيعته الخاصة.

بيد أن هذه المفاهيم كلها، تصطدم مع طبيعة العصر الحديث، الذى يحبل بهذا الفيض الغامر من التطور العلمى والأدبى، وظهور علوم مستقلة لتمحيص قوانين الأدب، وتبلور علم الجمال الذى يمت بصلة قوية للفلسفة.

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة- لأبى على المرزوقى- ص٩.

وقد ظلت المساجلات ساخنة حول الفروق الأساسية بين الشعر والنثر ، وتتضح الحيرة كلما وجدنا ناثراً يمتلك أدوات التعبير ، بطريقة تقترب من الشعر ، كما يرى فى الأعمال النثرية الكبرى "لمصطفى صادق الرافعى"، ولكن القضية تبدو أكثر إلحاحاً، حينما نواجه نماذج تحاول أن تطرح نفسها من خلال توسيع المفاهيم التقليدية والمعاصرة للشعر ، ولقد وجدت "نازك الملائكة" نفسها، بصدد البحث عن هوّية نقدية لهذا الشكل الذى يجمع بين جماليات الشعر ، ولكنه لا يعتمد على موسيقى الخليل، فاطلقت عليه "قصيدة النثر"، والبعض يرفض تماماً هذا المصطلح الذى يعطى للنثر حقوقاً شعرية لا يستحقها.(١)

ويكتمل المشهد الشعرى المعاصر ، بمغامراته الشعرية الجديدة، وتيارات التجريب، وذلك ببروز مجلة "شعر" اللبنانية، فى ستينات القرن العشرين، كأحد الموجات الحداثية، وغلبة الاتجاه التجريدى فى أعمال "أدونيس"، من مثل "مفرد بصيغة الجمع" وكتاب "القصائد الخمس" تليها "المطابقات والأوائل"، والأعمال الكاملة لـ "محمد الماغوط"، وأعمال "حسين عفيف"، و"مواقف العشق والهوان وطيور البحر" للشاعر إبراهيم

---

(١) انظر: تجارب نقدية وتجارب أدبية- محمد إبراهيم أبو سنة- سلسلة إقرأ سنة ١٩٨٦م ص١٢٧.

شكر الله" وغيرهم من الشعراء، أمثال "توفيق صايغ" و "جبرا إبراهيم جبرا" و "رياض نجيب الريس" و "أنس الحاج" و "يوسف الخال".. هذا فضلاً عما قام به شعراء السبعينات من محاولات للتمرد على الاتجاه الرئيسى فى حركة الشعر الحديث.

كل هذا الكم من النتاج الشعرى يجئ ليؤكد حقيقة أدبية جديدة هى أننا نواجه الآن محاولة طغيان لسيادة الهامش على المساحة الأدبية، بل إننا نشهد تواجه النقيضين، وهما: الظهور الشاحب للقصيدة العمودية من جديد فى مصر والعراق واليمن، والتخلص كلية من الموسيقى، فى محاولة سريالية متطوفة، للرد على ضعف الموجه الأساسية لحركة الشعر الحديث.

"لقد أصبح المشهد الشعرى يمثل عدداً لا ينتهى من الجداول الخارجة من النهر، وقد يكون هذا مفيداً لتوصيل مياه الشعر العذبة إلى أوسع مساحة وجدانية ممكنة، ولكن الذى يدعو للفزع أن يحاول الهامش التجريبى الاستيلاء على مجرى النهر، وهو موقف لا شك أنه سيؤدى فى النهاية إلى الجفاف التام، بل والقحط". (١)

وفى الوقت الذى آثر فيه النقاد المعاصرون أن يبتعدوا عن الركون إلى التعريفات المنطقية، ذات الطبيعة الجازمة، وسط هذه الموجة الشعرية

---

(١) محمد ابراهيم أبو سنة : تجارب نقدية وقضايا أدبية – صـ١٣٠ – مصدر سبق

التى لم تتحدد هويتها بعد، ولم يشأ أحد من النقاد أن يعطيها صك اعتماد شرعى داخل الحركة الإبداعية فى عصرنا الحديث، فقد انبرى الدكتور القط- من واقع رسالته النقدية المتتبعة للحركات الإبداعية فى العالم العربى- ليحدّد الصفة الأدبية التى تنتمى إليها هذه الظاهرة ، وذلك وفق ميزان نقدى دقيق من ثم فهو لم يشأ أن يصدر تصريحاً بالنفى أو بالقبول، بقدر ما أراد أن يخلع عليها من ماهية النقد، ما لم يسلبها حقاً تجريبياً، أو يمنحها سقفاً أدبياً لم ترق إليه، ذلك أن آفة النقد فى أدبنا العربى، صدروه عن أحكام تعميمية ضد محاولات التجديد عامة، دون أن نتمهل حيالها بكثير من الرصد والتحليل، ومن ثم الحكم بوضعيتها الصحيحة ضمن أخواتها من ظواهر التجديد فى الأدب.

فى بادئ الأمر- بكل روية الناقد البصير- حاول الدكتور القط أن يضع "قصيدة النثر" فى حجمها الطبيعى، مؤكداً على أن ما يثار فى مصر والوطن العربى حول هذه القضية ، يتجاوز طبيعتها إلى حد كبير ، ويجعل منها قضية جدلية لا أساس لها فى الواقع، "فقصيدة النثر منذ نشأت فى الغرب، فنّ من فنون القول، يرتفع فيه النثر برؤيته وتراكيبه الأسلوبية وإيقاعه، إلى حدّ يقترب من الشعر بمفهومه الام، وليس بمفهومه الاصطلاحى، وليس هناك أى جدل فى الغرب حول هذا الشكل من أشكال الفن القولى، فهو فن يكتب فيه من يشاء، إذا رأى أنه صالح لطبيعة التجربة

التى يعبر عنها، وإذا كان له قدرة خاصة تحمل النص، النثرى، بعض سمات الشعر بمفهومه العام أما فى مصر والوطن العربى، فإن القضية تطرح فى هذه الأيام، كأنها قضية جليلة الشأن، طارئة على الأدب، وكأن قصيدة النثر تقدم كبديل عن الشعر الموزون، وهذا خطأ أساسى"[١]

ذلك هو الإطار الموضوعى الذى يجسد فيه الدكتور القط، القيمة الفنية لهذه الظاهرة، باعتبارها أحد ألوان التجريب الذى يتسع له فن القول عامة، ولا سيما وأنها تمثل صورة متطورة من النثر الفنى، تحمل بين طياتها عناصر فنية من اللغة والصورة، والخيال الخصب، وصدق العاطفة، وحدية التعبير الموقّع بين تناغم جملة طويلة وأخرى قصيرة وهكذا..، ومن ثمّ يظل هذا الإطار بعيداً عن دائرة الرفض والمصادرة، "فليس من ضير فى أن يكون هناك نثر شعرى، يكتب فيه من يشاء، ويتلقاه من يحب هذا اللون الفنى".[٢]

على أن الدكتور القط الذى لا يرى ضيراً فى هذا الإطار، إنما يشترط تحقيق الشرط الفنى، فى أن تقترب طبيعته الفنية من شرط الشعر،

---

(١) د/ عبد القادر القط: من حوار معه لمجلة "أخبار الكتاب" العدد رقم (٥٠)- ملحق يوليو سنة ٢٠٠٢م – ص١٥.

(٢) نفسه صـ١٥ .

والنثر حين يقترب من الشعر، لابد أن تتحقق فيه رؤية متميزة للحياة من ناحية، وتعبير عن هذه الرؤية من ناحية أخرى، يحوّل الكلام إلى منزلة القول، وأعنى بالكلام: الحديث الذى يعبر به الناس عن شئون الحياة، وعن عواطفهم اليومية، وأفكارهم الجارية، وغير ذلك، دون أن يقصدوا إلى نوع من التفنن فى التعبير، أما حين يقصد المرء أن يكتب أدباً، أياً كانت طبيعة هذا الأدب: قصة أو مسرحية أو شعراً أو خاطرة فإن الكلام يتحول بمفرداته وصيغه الأسلوبية، ومجازاته ورموزه وإيقاعه الداخلى، إلى قول فنى". [١]

أما أن تكون هذه الضجة الكبرى، التى تضطر بها كثير من الحناجر المغرضة،ترمى إلى محاولة تأسيس جديدة لهذا اللون من التجريب لتكون بديلاً عن الشعر الموزون، فهذا ما يمثل محط استهجان واستنكار شديدين لدى الدكتور القط، منددا بهذا الصراع المرير الذى يذهب أحد أطرافه إلى التهوين من أوزان الشعر العربى، إلى حد اتهامه بأنه يمثل عائقاً دون تطور الشعر وتحديثه، وقيداً ضد حرية الشاعر فى انطلاقاته التعبيرية، وفى هذا الصدد يقول الدكتور القط: "إن تصوير الوزن على أنه عائق أمام انطلاقة الشاعر، أو حرية تعبيره، تصوّر ناتج عن غيبة ممارسة الإبداع

---

(١) د . عبد القادر القط : من حوار معه لمجلة " أخبار الكتاب " عدد رقم (٥٠) – ملحق يوليو سنة ٢٠٠٢ صـ١٥

فى الشعر الموزون، فما كان الوزن أبداً فى أى وقت من الأوقات عائقاً أمام الموهبة الشعرية الكبيرة، ولا فارضاً عليها بعض ما لا تحب أن تقوله، بل إنه على العكس من ذلك- وقد عبرت عن هذه الفكرة من قبل أكثر من مرة- يجلب للحظه الإبداع كثيراً من الخيارات الأسلوبية والتصويرية والإيقاعية، التى يختار من بينها الشاعر فى لحظة تتراوح بين الوعى والتلقائية تعبيراً خاصاً، يراه أقدر التعبيرات عن عاطفته أو فكرته، أو صورته الشعرية" (١)

ورداً على هؤلاء الذين يتهمون "الخليل بن أحمد" بأنه أرسى البحور الطيّعة، واستعصت عليه بعضها فتركها، من ثمّ فأصحاب هذه الظاهرة لم يخرجوا عما قد يدّعون أنه طرح من ذاكرة "الخليل"، يرى الدكتور القط، أن "الخليل ابن أحمد" مظلوم عند هؤلاء الذين يتحدثون عن الوزن الشعرى، فإنه لم يفرض أوزاناً على الشعر العربى، بل حاول أن يكشف قانوناً لهذه الأوزان السائدة التى كان يكتب فيها الشعراء العرب، والتى كان يحسّ العرب وزنها، فيدركون لغيبة حرف أو زيادته أن الوزن قد اختل". (٢)

---

(١) د/ عبد القادر القط: من حوار معه- بمجلة أخبار الكتاب- ص١٥.

(٢) نفسه ص١٥.

ويؤكد الدكتور القط على أن العلاقة التلازمية بين الشعر والإيقاع في الشعر العربي، لا تمثل أمراً خارجاً عن المألوف في كل الآداب العالمية، "فكل شعب من شعوب الأرض له شعره الموزون، أياً كانت طبيعة الوزن، وكل شعب له طموحه إلى أن يوثق لغته، والصلة وثيقة جداً بين الشعر والموسيقى، وإن غابت عنا هذه الصلة، والإيقاع شئ فطري في طبيعة الإنسان.... والشعر العربي نفسه قد تطورت أوزانه منذ بداية هذا القرن، ولن يتخلى الشعر عن الوزن- أيا كانت طبيعة هذا الوزن- إلا حين يتخلى الجنس البشري عن إحساسه بالإيقاع والموسيقى".(١)

ومن ثم فهو يندد بكل طرف يزجي ازدراءه إلى طبيعة "الوزن" العربي وبخاصة أصحاب هذه الظاهرة، "وكأن العرب قد ارتكبوا خطأ جسيماً لم يرتكبه أحد من الشعوب حولهم، حين نظموا شعرهم على أوزان معروفة"(٢)

ويبدو أن أصحاب هذا التصور المتحامل على الوزن وإيقاعه، نابع من أن هذا الشكل الذي يبدو في الظاهرة بلا قوانين معروفة، يغوي كثيراً من غير الموهوبين للكتابة فيه، وقد أصبحت نصوصه من الكثرة، بحيث

---

(١) د/ عبد القادر القط: من حوار معه بمجلة أخبار الكتاب- ص١٥، ١٦.

(٢) نفسه ص١٥.

يبدو أن شعراء قصيدة النثر، يكادون يتجاوزن الحصر، ومع ذلك فإن أحداً من الشعراء أو النقاد لم يقدم بعد تصوراً لفنية هذا الشكل ولا لما ينسب إليه من إيقاع.

وعبر متابعات متواصلة، ورصد دائم لهذه الكثرة من الأعمال الخاصة بقصائد النثر، فى مختلف سبل النشر، من دواوين وصحف ومجلات أدبية متخصصة، يؤكد الدكتور القط، على عدم إمكانية الناقد فى لظفر بتكوين رؤية نقدية متكاملة، لطبيعة هذا النوع من الشعر، من حيث العناصر الفنية والموضوعية، والشكل والإيقاع، وغيره، "بل يقصد كتّابه قصداً إلى استخدام اللغة المألوفة إلى درجة الابتذال، وقد يندفعون تحت مصطلحات جديدة لا يحسنون فهمها مثل لغة الجسد، أو اختراق التابو أو المحظورات، ويجد بعض المراهقين فى هذه المصطلحات مجالاً، للتعبير عن عواطفهم الشخصية أو غير الناضجة"[١]

" وقد شاع بين نصوص قصيدة النثر، نصوص بالغة القصر، قد لا تزيد القصيدة – إن صح التعبير- عن يضع كلمات أو سطر أو سطرين[٢]

---

(١) د/ عبد القادر القط: من حوار معه بمجلة أخبار الكتاب ص١٥.

(٢) حدّث الدكتور القط إبّان رئاسته لبعض المجلات الأدبية، أنه كان يلقى معاناة شديدة فى عملية فرز القصائد الصالحة للنشر وكانت تقابله هذه القصائد ذات السطر القليلة والمقسمة إلى حالة أولى وحالة ثانية، مدعين تأثرهم ببعض الكتابات الصوفية.

والعمل الأدبى لكى تتحقق له سماته الفنية، لا بد أن يكون ذا طول مناسب، حتى يتيح للمبدع أن يقدم تشكيلات أسلوبية خاصة، ورؤية فنية للتجربة التى يعبر عنها... قد يكون فى مثل هذه العبارات القصيرة رؤية طريفة، أو إشراقة نفسية، أو خاطرة مبتكرة، ولكن النص يظل فى هذه الحدود الضيقة، لا يكتسب صفة النص الأدبى، لأنه لم ينبسط بالقدر الكافى حتى يحقق ما ينبغى للنص من بقاء أسلوبى متميز "[١]

ولعل الدكتور القط، بهذا التوصيف النقدى الذى تدعمه خبرة من طول الممارسة والمتابعة لحركة التيارات الإبداعية فى أدبنا العربى- إنما يصدر عن مسئولية ناقد يدافع عن إبداع أمته، ويزود عن حياض لغتها إلى تحمل بذور هويتها، وطابعها الثقافى المميز، ويريد للحركة الأدبية أن تكون معبرة بحق عن بيئاتنا العربية، بل ومؤثرة بالإسهام فى تحقيق طموحاتها، من ثم فهو يقف بالمرصاد ضد أية محاولات متمردة على هوية الثقافة العربية الأصيلة، وتدّعى الانسلاخ من ربقتها، وقصيدة النثر واحدة من هذه المحاولات.

وثمة كثير من النقاد النابهين الذين يتابعون عن كثب مثل هذه التيارات يشاركون الدكتور القط هذا الراى، ويتفقون على خطورة هذه

---

(١) د/ عبد القادر القط: المرجع السابق ص١٥.

المغامرات الشعرية التى تنطلق من مذهب حداثى غير آبه بالثقافة العربية ومن هؤلاء الناقد الكبير الدكتور صلاح فضل، الذى يقرر أن أقسى ضربة أصابت الشعر العربى فى الآونة الأخيرة- فى تقديره- "هى وهم الانقطاع التام عن غيته العمودية بالانقلاب إلى "قصيدة النثر"، وهى شكل تجريبى بديع، لكنها لا يمكن أن تكون بديلاً تاماً عن الشعر العربى بمختلف تنواعاته ودرجاته- خاصة بتياره العريض المتدفق بالإمكانات الإيقاعية والموسيقية، وقد أدى هذا الوهم المتفاقم إلى ضياع أهم معلمين بارزين فى الشعرية العربية، وهما الموسيقى والدلالة، بحيث أصبحت نسبة كبيرة مما يكتب باسم الشعر هذا الأيام، تضرب فى غياهب عماءين: عماء الإيقاع، وعماء المعنى، وهو ما لا يغرى أحداً بقراءتها سوى كتابها، ويترك المسافة فارغة بين الشعر والجمهور".[١]

على أن الدكتور القط- فيما يصدر من توصيف نقدى لهذه الظاهرة- فإنه يضعها بين حدين: الموافقة والرفض..

---

(١) د/ صلاح فضل: تحولات الشعرية العربية- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ص١٦، ١٧.

أما حدّ الموافقة، فهو يعنى به الاستعداد قبولها فى حدود إطارها النثرى، وهى الأصل التى انبثقت عنه، وتلتزم بالانتماء إليه.(١)

ويكون لها- فى حدود هذا الإطار- سبق فنى متطور، بالنظر إلى بعض العناصر الفنية التى تتضمنها هذه الظاهرة، فيتم رواجها فى السوق الأدبية، على أنها فن قولى راق، يتلاءم مع حاجات العصر الفنية، وهو

---

(١) جذور هذا الشكل- رغم إنكار من يكتبونه- ترجع إلى بعض المعارف النظرية التى كتبت عن ظهوره فى نحو منتصف القرن التاسع عشر عند "بودلير" وغيره من الشعراء الفرنسيين، وإلى نماذج من النثر الفنى السابقة فى النثر العربى القديم والنثر الحديث، ومن أبرز كتابه المحدثين: "جبران خليل جبران" و "مصطفى صادق الرافعى" و"مصطفى المنفلوطى" و"حسين عفيف"، وقد يكون مصطلح القصيدة التى ينسب إليها هذا النثر الفنى، قد أدخل شيئاً من التصوير الجديد للنص النثرى، ولكننا لا ننكر وجوده فى تلك النصوص النثرية الحديثة التى أشرنا إليها، على الرغم من اختلاف الرؤيا فى ذلك الوقت، والتى كانت تمثل تجربة نثرية تستدعى معجماً خاصاً، وأخيلة متميزة تعبر عن العواطف الحادة والخيال البعيد، وتحول الشعر بعد ذلك إلى ما نشاهده منذ بداية الشعر الحر، إلى شعر السبعينات، إلى شعر الحداثة، لكننا لا ننكر جذور هذا التطور الكلى فى بدايات التحول إلى العصرية منذ أوائل القرن، وليس هناك ما يضير قصيدة النثر أن تكون لها جذور فى مثل هذه النصوص، فإن الفنون يتولد بعضها من بعض بالضرورة، وليس هناك ما ينبت نبتاً سيطانياً بلا سوابق [د/ عبد القادر القط: مجلة أخبار الكتاب- ص١٦].

يمثل صورة متطورة لفن النثر، ومن ثم "فلابد لحركة إبداعية ونقدية عارمة، من تنظيم هذا الطوفان، وحفر أخاديد، وحصر تياراته، وإبراز مستوياته المختلفة، وأشكاله المتعددة".[١]

أما حدّ الرفض: فيعنى به رفض أن تكون قصيدة النثر بديلاً عن قصيدة الشعر العربية الموزونة، ذلك لأنها تفتقد الأصول الفنية المعروفة لحدود الشعر والفن والإبداع.[٢]

ويعبر الدكتور القط عن هذين الحدين بقوله: " إننى لست ضد قصيدة النثر، ولكنى ضد مبدأين متصلين بها: الأول أن تقدم بديلاً عن الشعر الموزون، أياً كانت طبيعة هذا الوزن، والثانى أن يكون انتساب النص إلى هذا الشكل مبرراً لرداءته أو نثريته المسرفة فى غيبة معايير فنية خاصة، يقاس إليها الجيد والردئ"[٣]

---

(١) د/ صلاح فضل: تحولات الشعرية العربية- ص١٧- مصدر مسبق.

(٢) فى تفاصيل هذا الموضوع، انظر مقالين بعنوان: "ظاهرة العبث فى الشعر العربى المعاصر" وثالثه بعنوان: "لا شعر.. ولا نثر" وكلها للأستاذ/ رجاء النقاش، بكتابه: ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء.

(٣) د/ عبد القادر القط: من حوار معه بمجلة أخبار الكتاب ص١٥.

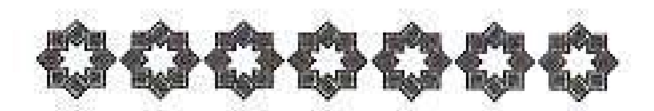
ويرى كذلك أن من يكتب فى قصيدة النثر، يكتب تلقائياً، كالذى يكتب فى القصة القصيرة أو الرواية أو الشعر الموزون أو المسرح، والأمر متروك للقارئ الذى يعجبه هذا الفن أو ذاك، وليس هناك هذا الجدل العقيم بين من يبدعون شعراً موزوناً، ومن يبدعون قصيدة نثر، ولا يقدم فنا بديلاً عن فن آخر، فلا يزدرى كاتب القصة الرواية، ولا كاتب المسرحية الرواية، ولا كاتب الرواية المسرحية، ولا كاتب المسرحية مبدع المقال الأدبى". [١]

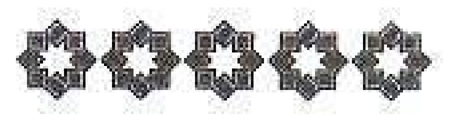
إن قصيدة النثر تظل تجربة فنية تمثل إضافة متميزة، ولكنها بكل تأكيد ليست المرحلة القادمة فى الشعر العربى، وإلا جعلنا من الجدول الصغير نهراً، ومن الشجرة حقلاً وهو تصوير غير صادق، إن حق التعبير ينبغى أن يكون مكفولاً للأديب على كل مستويات التعبير، دون أن يقرر واحد أن هذا الشكل دون غيره هو الذى يمثل العصر، وأن الأشكال كلها باطلة، فحق الحياة وحده مبرر لكل حى، والأشكال الفنية التى تنهض أو تموت، هى تعبير عن شئ ينهض أو يموت- فى الواقع نفسه، إن قصيدة النثر سوف تظل مساهمة، ولكنها ستكون كارثة على الشعر لو أنها قدمت نفسها كبديل لحركة الشعر العربى الحديث، وأظنها لا تستطيع ذلك، ويبقى

---

(١) نفسه ص١٦.

أن تتلمس الطريق، لتحليل المشهد الشعرى الراهن، على ضوء الجديد والقديم، وهل نتقدم إلى الأمام، أم نعود إلى الخلف..؟





المختار من كتاب

صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم

تأليف

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى

المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق ودراسة الدكتور

يوسف محمد فتحى عبد الوهاب

مدرس الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى جعل أهل طاعته أحياءً فى مماتهم، وجعل أهل معصيته أمواتاً فى حياتهم، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وصفوة أنبيائه سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه رسالة لطيفة للعلامة "السيوطى" كنت قد حققتها منذ زمن بعيد، وهى تمثل طريقة فريدة من طرائق التأليف عنده، حيث اعتمد "السيوطى" على أسلوبه الخاص فى التعبير دون الاعتماد على النقول- كعادته- إلا فى القليل النادر، وصف من خلال أسلوبه هذا بعض النماذج البشرية بطريقة ذكر النموذج المثالى ثم ذكر نقيضه، فأظهر من خلال ذلك الفوارق بين تلك النماذج، لا سيما عند جمعه بين نماذج أصحاب الذوق السليم وأضدادهم من مسلوبى الذوق فى مكان واحد، مما جعل هذه النماذج أكثر وضوحاً، لأن "الضد يظهر حسنه الضد" كما يقال .

ويلاحظ أن "السيوطى" اعتمد على كثير من الألفاظ العامية الدارجة فى عصره، كما اعتمد- أيضاً- على بعض الألفاظ الفارسية والتركية والمملوكية فى تعبيره، ولا شك أن دراسة مثل تلك الألفاظ يفيد

كثيراً علماء أصول اللغة فى مجال دراسة الألفاظ العامية وتطورها عبر العصور، لا سيما فى مقارنة الألفاظ العامية فى العصر المملوكى- عصر السيوطى- وعصرنا الحالى الذى نعيش فيه.

وفى سبيل "السيوطى" لإقامة السجع اضطر إلى تسكين أواخر فقرات الرسالة، حتى إذا كانت هذه الأواخر منصوبة، وهذا خلاف الشائع بين الدارسين، حيث يوقف على تلك الأواخر بالألف فى حالة النصب، وبالسكون فى الحالات الأخرى.

وقد عثرت على كثير من النسخ المخطوطة لهذه الرسالة- كما سيأتى توضيح ذلك- ووجدت صعوبة بالغة فى مقابلة هذه النسخ فى أثناء التحقيق، لأننى عندما دونت جانباً من الخلافات بين النسخ وجدت أنها ستضاعف حجم الرسالة، لذا اضطررت إلى إهمال ذكر تلك الخلافات فى هذه الطبعة المختصرة للرسالة، لكى يمكن نشرها ضمن هذا العدد من مجلة "آفاق أدبية"، وعندما تتاح الفرصة إلى نشر هذه الرسالة كاملة سأختار من بين النسخ المخطوطة أفضل النصوص الدالة على المعنى المراد، مع ذكر بعض الخلافات الجوهرية بين النسخ فى هامش التحقيق.

ويعلم الله وحده مدى الصعوبة التى واجهتنى فى إخراج تلك الرسالة، لصعوبة اللغة التى كتبت بها، وخروجها عن الإطار الفصيح فى الكثير الغالب، ولكنها- بلا شك- توضح جانباً مهماً من جوانب الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر "السيوطى" الذى استطاع ببراعة قلمه وصف أحوال المجتمع، والذوق العام الذى يضبط حركة الحياة، والسلوك المثالى الذى يجب أن يتحلى به أفراد ذلك المجتمع.

أسأل رب العزة- سبحانه- أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور

يوسف محمد فتحى عبد الوهاب

مقدمة التحقيق

(أ) التعريف بالسيوطى:

هو جلال الدين : عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى، إمام حافظ مؤرخ أديب.

ولد فى مدينة القاهرة فى مستهل شهر رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة (٨٤٩هـ) فى أسرة محبة للعلم، ولكنه لم ينعم بأبيه طويلاً، فقد مات أبوه ولمّا يزل "السيوطى" طفلاً صغيراً، وذلك فى شهر صفر سنة خمس وخمسين وثمانمائة (٨٥٥هـ).

يقول "السيوطى" عن نفسه: "نشأت يتيماً، فحفظت: القرآن ولى دون ثمان سنين، ثم حفظت: العمدة، ومنهاج الفقه، والأصول، وألفية بن مالك، وشرعت فى العلم فى مستهل سنة أربع وستين". [١]

عُرِفَ "السيوطى" فى أواخر عصر المماليك الذين امتد نفوذهم فى كل مكان، وقامت لمصر فى أيامهم دولة عظمى، فصارت حضارة مصر آنذاك مضرب الأمثال، ومع أن المماليك كانوا ينتمون إلى أصول غير

---

(١) حسن المحاضرة: ١٨٨/١.

عربية إلا أنهم بإقامتهم فى أرض العروبة عَدُّوا أنفسهم من العرب، بل حماة للعرب.

فى هذه البيئة عاش "السيوطى" وعكف على التأليف والكتابة، فأضاف إلى المكتبة العربية ذخائر المؤلفات التى تشهد لصاحبها: بغزارة العلم، ووفرة المحصول، وموسوعية المعرفة، والإحاطة بكل المؤلفات المدونة إلى عصره، فتبحر فى سبعة علوم هى: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع، وخلف لنا "السيوطى" أكثر من ستمائة مؤلف بين كتاب كبير ورسالة صغيرة يصعب ذكرها فى هذه التقدمة الموجزة، ولكن معظم هذه المؤلفات له مكانة بارزة فى بابه.

وقيل عن هذه المؤلفات: "وتصانيف السيوطى فى كل فن من الفنون مقبولة، قد سارت فى الأقطار مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله".[١]

ظل طيلة شبابه فى رحاب العلم، وعندما بلغ سن الأربعين "أخذ فى التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاشتغال به صرفاً، والإعراض عن الدنيا وأهلها، كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع فى تحرير مؤلفاته،

---

(١) البدر الطالع: ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩.

وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك فى مؤلَّفٍ ألَّفَهُ وسماه بالتنفيس، وأقام فى روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات". (١)

من أبرز مؤلفاته فى علوم القرآن والتفسير: الإتقان فى علوم القرآن، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور، ولباب النقول فى أسباب النزول، والتحبير فى علم التفسير، وترجمان القرآن فى التفسير، ومتشابه القرآن، والمهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب، والمتوكلى، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن، والإكليل فى استنباط التنزيل، وطبقات المفسرين، ومعترك الأقران فى مشترك القرآن، ومجمع البحرين ومطلع البدرين فى التفسير، وتفسير الجلالين بالاشتراك مع جلال الدين المحلى.

ومن مؤلفاته فى الحديث النبوى وعلومه: جمع الجوامع أو الجامع الكبير، والجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير، والأحاديث المنيفة، وتنوير الحوالك فى شرح موطأ الإمام مالك، والدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، والخصائص والمعجزات النبوية، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ومرقاة الصعود إلى سنن أبى داود، ومصباح الزجاجة فى شرح سنن ابن ماجه، وعقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد، وزهر الربى على المجتبى فى شرح سنن النسائى، وقوت المغتدى على جامع الترمذى،

---

(١) الكواكب السائرة: ٢٢٨/١.

والمنتقى من الأدب المفرد للبخارى، والمنتقى من شعب الإيمان للبهيقى، واللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة... وغير ذلك كثير من المؤلفات.

ومن مؤلفاته فى اللغة وعلومها: المزهر فى اللغة، والاقتراح فى أصول النحو، وهمع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، والموشح فى علم النحو، والسيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل، والبهجة المرضية فى شرح ألفية ابن مالك، والأخبار المروية فى سبب وضع العربية.

ومن مؤلفات فى علوم البلاغة: عقود الجمان فى علم المعانى والبيان، وشرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان، والنظم البديع فى مدح الشفيع، وفتح الجليل للعبد الذليل، وهو رسالة تضم مائة وعشرين صنفاً من أنواع البديع جاءت فى آية واحدة من آيات القرآن الكريم.

وله فى الأدب وتاريخه ومباحثه: بهجة الخاطر ونزهة الناظر، والمستطرف من أخبار الجوارى، والأرج بعد الفرج، وكنه المراد فى بيان بانت سعاد، ودرر الكلم وغرر الحكم، والكنز المدفون والفلك المشحون، وحسن المحاضرة، وهو كتاب مشهور فى تاريخ مصر، حافل بالنصوص الشعرية الفريدة والرسائل النثرية النفيسة.

هذا بالإضافة إلى كثير من المؤلفات الأخرى فى تلك العلوم السابقة وغيرها من العلوم، كعلم الفقه، وعلم التصوف، والمنطق، وخلاصة القول أن السيوطى كان من العلماء الموسوعيين الذين كتبوا فى مختلف فنون المعرفة.(١)

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعطاء والنتاج العلمى توفى "السيوطى" سنة إحدى عشرة وتسعمائة (٩١١هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

(ب) التعريف بالرسالة:

عثرت على كثير من النسخ المخطوطة لهذه الرسالة، اعتمدت على معظمها فى اختيار هذا النص المختصر من الرسالة.

١ - النسخة الأولى:

مودعة فى دار الكتب المصرية تحت رقم: ٨٨ أدب تيمور، ميكروفيلم: ٢٨٣٨٧، وهى تقع فى: ٥٨ صفحة مكتوبة فى سنة ١٢٦٩هـ،

---

(١) انظر فى مؤلفات السيوطى: دليل مخطوطات السيوطى وأماكن وجودها، إعداد: محمد بن إبراهيم الشيبانى، وأحمد سعيد الخازندار، الكويت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

مدون على غلافها: "كتاب فى صفة صاحب الذوق السليم، والمسلوب الذوق اللئيم، تأليف خاتمة المحققين: جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطى تغمده الله برحمته".

٢ - النسخة الثانية:

مودعة - أيضاً - فى دار الكتب المصرية تحت رقم: ٤٨٨ أدب تيمور، ميكرو فيلم: ٢٩١٠٤ وهى تقع فى: ٣٢ ورقة، وهذه النسخة مبتورة من آخرها، مكتوب على غلافها: *"كتاب الذوق السليم، تأليف العالم العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام مولانا الشيخ السيوطى رحمه الله تعالى ونفعنا به فى الدنيا والآخرة".*

٣ - النسخة الثالثة:

فى دار الكتب المصرية تحت رقم: ٦٦٣ أدب تيمور، ميكرو فيلم: ٢٧٩٣٠ وهى تقع فى: ٢٥ صفحة، مكتوب على غلافها: "كتاب مفرج الكروب فى بيان صاحب الذوق السليم وصاحب الذوق المسلوب، للشيخ الإمام الهمام حافظ عصره وأوانه، مجتهد أيامه وزمانه، العالم العلامة: جلال الدين السيوطى نفعنا الله ببركاته آمين".

٤ـ النسخة الرابعة:

فـى دار الكتـب المصـرية تحـت رقـم: ٦٢٥ مجامـيع طلعـت، ميكروفيلم: ١٠٥١٦، وهى تقع فى: ١٨ ورقة، مكتوب على غلافها: "هذه رسالة فى صاحب الذوق السليم ومسلوبه، للإمام: السيوطى رحمه الله رحمة واسعة آمين يا رب العالمين".

وهذه النسخة ضمن مجموعة هى المخطوطة الأولى بها، وبعدها مخطوطة: "مسائل ثمانية وأجوبتها"، وكتاب: "كشف الريب عن مسألة الجيب" للسيوطى، وكتاب "البعث" للسيوطى أيضاً.

٥ـ النسخة الخامسة:

فـى دار الكتب المصرية، تحت رقم: ٧٨٦ الزكية، ميكرو فيلم: ٥٢٩٠١ قياسها: ٢٥,٥سم × ٢٥,٥سم، مكتوبة فى سنة ١٢٥٣هـ، وهى تقع فى: ٥١ صفحة، وبعدها مخطوطة أخرى مجهولة إلى الصفحة رقم: ٨٣، ومكتوب على غلاف هذه النسخة: "كتاب الذوق السليم، تأليف: الجلال السيوطى، نفعنا الله به آمين".

٦ - *النسخة السادسة:*

وهـى مخطوطـة جـيدة مودعـة فـى "المكتـبة الأزهـرية" ضـمن مجموعـة فـى مجلد بقلم معتاد، مسطرتها: ٢٥ سطراً، من الورقة: ٢٠٦ إلى الورقـة: ٢١٩ تحـت رقـم: ١٨٧ مجاميع، ٤٥٢٥ (عمومية) مكتوب علـى غلافها: "صاحب الذوق السليم ومسلوبه للإمام السيوطى رحمه الله آمين".

٧- *النسخة السابعة:*

وهـى مودعة- أيضاً- فى "المكتبة الأزهرية"، تحت رقم: ٤٥٧٦، حليم: ٣٤٧٩٠، وهى تقع فى: ١٠ أوراق، مسطرتها :٢٥ سطراً، وبالبحث عنها تبين أنها مفقودة.

٨- *النسخة الثامنة:*

وهـى مودعـة فـى "مكتـبة المسـجد الأحمـدى" بطـنطا تحـت رقـم: ١٠٥٥، وكانـت أوراق هـذه النسـخة مضـطربة فقمـت بترتيـبها وترقـيمها، وبذلـت فـى سبيل تصويرها مشقة بالغة إلى أن وفقنى الله إلى ذلك،وهي تقع في :٤١ صفحة ، ومكتوب علـى غـلاف هـذه النسـخة: "كتاب الذوق السَّليم وضـد ذلـك المسـلوب الـذوق اللئـيم، تألـيف سـيدنا ومولانـا خاتمـة الحفـاظ

والمحدثين الشيخ: جلال الدين السيوطى، رحمه الله تعالى، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين".

٩ ـ المخطوطة التاسعة:

مودعة فى "مكتبة سوهاج" تحت رقم: ٣٤٣ أدب، مكتوبة فى سنة ١٠٦٣هـ، وهى تقع فى: ٣٠ صفحة، ومنها مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، انظر فهرس المخطوطات المصورة (جزء الأدب): ٤٧٢/١ رقم: ٤٠١.

١٠ ـ النسخة العاشرة:

مودعة فى "المكتبة الظاهرية" بدمشق، برقم: ٤٦٥٤ عام، انظر دليل مخطوطات السيوطى وأماكن وجودها: ١١٢، مخطوطة رقم: ٤٩٣، ولم يذكر هذا الدليل للرسالة غير نسخة المكتبة الظاهرية هذه، ولم أتمكن من الاطلاع عليها.

(ج) طريقة السيوطى فى إقامة السجع:

اعتمد "السيوطى" على تسكين أواخر الفقرات لإقامة السجع، سواء أكانت هذه الأواخر مضمومة أم مكسورة أم منصوبة، وهذا وارد عن العرب فى الضم والكسر ما عدا النصب، فإنه وارد فى لغات بعض القبائل فقط.

والوقف - كما أشارت كتب اللغة إليه- هو: قطع الكلمة عَمَّا بَعْدها، أى أن تسكت على آخرها قاصداً لذلك مختاراً لجعلها آخر الكلام، سواء أكان بعدها كلمة أم كانت آخر الكلام، فإذا كان آخر الكلمة ساكناً فقد كفيت مؤونة الإسكان نحو: كَمْ، ومَنْ.

والإسكان فى الوقت يجوز فى كل متحرك إلا فى المنصوب، فإن اللغة الفاشية فيه قلب التنوين ألفاً، وربيعة يجيزون إجراءه مجرى المرفوع والمجرور، قال الشاعر:

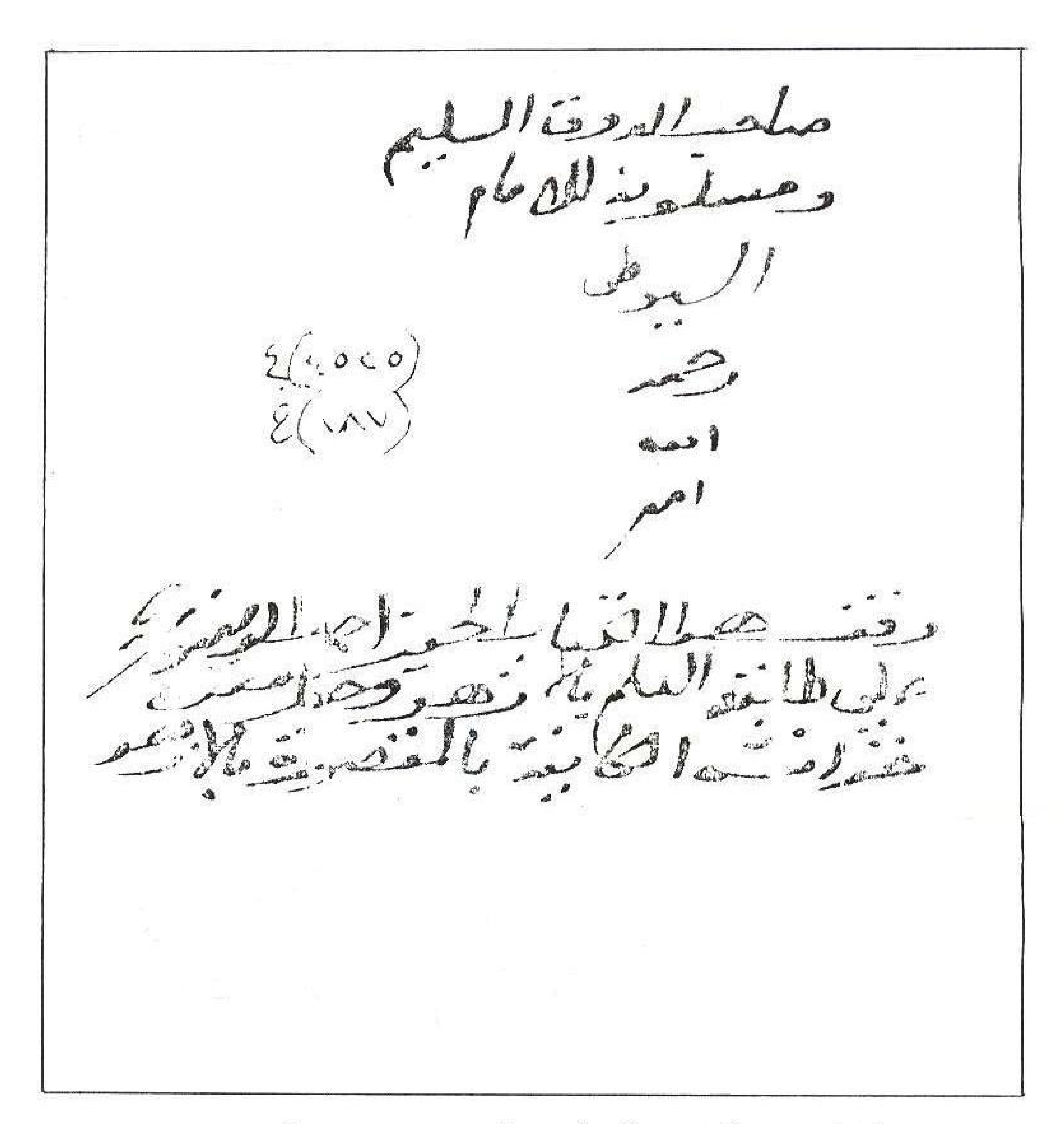
وآخُذُ من كُلِّ حَىٍّ عُصُمْ

وقد وجدنا أن "عصماً" هنا وقِفَ عليها بالسكون، وهذه اللغة لغة ربيعة، لأنهم يجيزون تسكين المنصوب المنون فى الوقف.[١]

وقد سكن "السيوطى" فى سبيله لإقامة السجع جميع الفقرات سواء أكانت مرفوعة أم مجرورة أم منصوبة.

---

(١) انظر فى هذه المسألة: شرح شافية بن الحاجب- القسم الأول- الجزء الثانى: ٢٧١- ٢٧٢.



غلاف نسخة المكتبة الأزهرية ضمن مجموعة

برقم :١٨٧ مجاميع

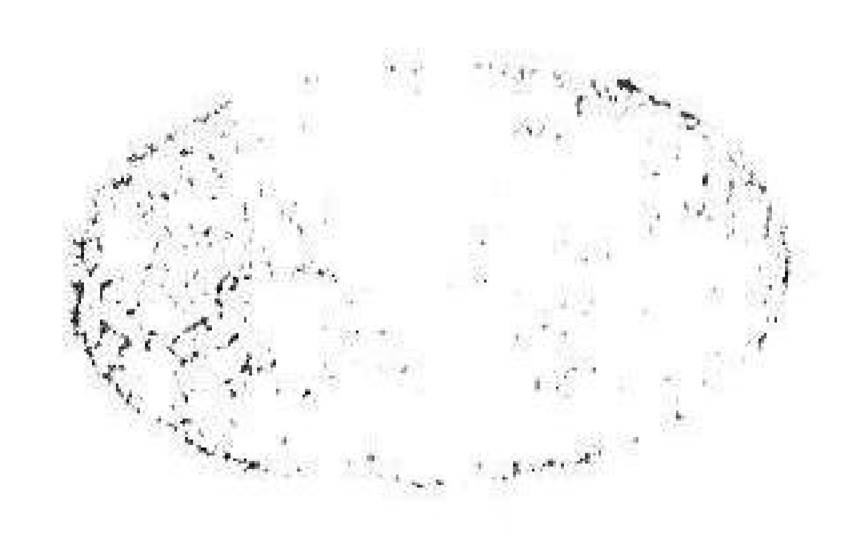
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان وفضله على
جميع الحيوان بنطق اللسان، وخلق كل شيء فقدره تقديرا
وجعله سميعا بصيرا، ثم هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا
[illegible] على [illegible] وكرم المؤمن على [illegible] وخلق الخلق
أطوارا وجعلهم للتكليف فريقين فله الحكم والتدبير فريق
في الجنة وفريق في السعير فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فلهم أجر غير ممنون وأما الذين شقوا ففي النار
جزاء بما كانوا يعملون [illegible] أحمده على نعمه وأسأله المزيد
من رفده وإن من شيء إلا يسبح بحمده ثم الصلاة على سيدنا
محمد رسوله وعبده [illegible] وفقنا الله وإياك للصواب
وفتح لنا ولك من الخير أحسن باب فقد جمعت ما دون في هذا
الكتاب من صفاته وفي الأبواب وأضدادهم الجائرين
عن الصواب [illegible] بأن الذوق السليم نتيجة الذكاء المفرط
والذكاء المفرط نتيجة [illegible] الزائد و[illegible]
[illegible] في حسن الخلق [illegible] وأحسن خلق الله الأنبيا
وأحسن خلاصة الأنبيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
[illegible]
وصفه صلى الله عليه وسلم ما قال القاضي عياض في الشفا
عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي رضي
الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الأزهرية ضمن

مجموعة برقم : ١٨٧ مجاميع

والوزن كذا البزركا استهلا، لولا العلو بالوزن ها وجب انفصلا،
نوعيه تسمية وما قد دخلا، مع امتهانه بدخوله وجملا،
فهذا الأصل وما تفرع منه والكلام فيه متسع. وفي هذا
القدر مقنع وانتهابنا الى هنا حسن الكلام والسلام
تم الكتاب والحمد لله العزيز الوهاب.
وصلى الله عليه سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم



الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الأزهرية ضمن

مجموعة برقم : ١٨٧ مجاميع

كتاب الذوق التسليم

وضمه ذلك المسلوب وبقي ذلك ابينا

الذوق اللذيم تأليف تحفة المجتهدين

سيدنا ومولانا باسم المجددين

خاتمة الحفاظ للجلال السيوطي

والمحدثين الشيخ رحمه الله تعالى

جلال الدين

السيوطي

رحمه الله تعالى

وأعاد علينا

وعلى المسلمين

من بركاته

آمين

غلاف نسخة مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا

والمودعة برقم: ١٠٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الانسان وعلّمه البيان وفضّله
على جميع الحيوان بنطق اللسان وقدّر كل شيء تقديرا
وجعله سميعا بصيرا ثم هداه السبيل إمّا
شاكرا وإمّا كفورا كوّر الليل على النهار وكوّر النهار
على الليل وخلق الخلق أطوارا وجعل الثقلين
فريقين فله الحكم والتدبير فريق في الجنة وفريق
في السعير فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم أجر غير ممنون وأمّا الذين شقوا فمأواهم النار
جزاء بما كانوا بآياتنا يصنعون أحمده حمدا
يوافي نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه وإن من

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا

والمودعة برقم : ١٠٥٥

١٨٧

كانها وجه جاموسه ٥ ضيقا نخافاح ٥ منفوسه

القباح ٥ اذا خرج خلقها تخنق بنتها ٥ وايضا قرن

تقتل ستها كثيرة الدمدمه ٥ وافتح من اعون

الظلمه ٥ ولا هي نصرانيه ولا يهوديه ولا

مسلمه ٥ مكروشه منبوشه ٥ سرموجه

برطوشه ٥ ما تسوي قطعة نرقوشه

محبه كوره ٥ نرمية نوره ٥ والله اعلم

بالصواب ٥ واليه المرجع والمآب ٥

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا

بالله العلي العظيم تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله

وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما

الى يوم الدين والحمد لله

رب العالمين

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا

والمودعة برقم :١٠٥٥

المختار من كتاب

صاحب الذوق السليم
ومسلوب الذوق اللئيم

تأليف

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق ودراسة الدكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

مدرس الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد،وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلّمَهُ البيان، وفَضَّلَهُ على جميع الحيوان بنُطْق اللّسان، وقدر كلَّ شئ تقديراً، وجعله سميعاً بصيراً، ثم هداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً، كوَّر الليل على النهار، وكوَّر النّهارَ على اللّيل، وخلق الخلق أطوار[1]، وجعل الثقلين فريقين، فله الحكم والتدبير، ﴿ **فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ** ﴾[2]، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون[3]،وأما الذين كفروا فمأواهم النار جزاء بما كانوا يعملون،﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعيدوا فيهَا وقِيلَ لَهُمْ ذوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كنتمْ بِهِ تكَذِّبُونَ** ﴾ [4]

---

(١) سكّن: أطواراً لإقامة السجعة، انظر مقدمة التحقيق حول طريقة السيوطى فى الوقف على أواخر الفقرات لإقامة السجع.

(٢) سورة الشورى:٧.

(٣) انظر فى ذلك السور الآتية: فصلت: ٨، الانشقاق: ٢٥، التين: ٦.

(٤) سورة السجدة: ٢٠.

أحمده حمداً يوافى نعمه،وأسأله المزيد من رفده وكرمه **﴿ وإنْ مِنْ شَيْئٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنَّهُ كان حَلِيماً غَفُوراً﴾**(١)، ثم الصلاة على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى أرسله الله إلى جميع الأمم والأقطار بشيراً ونذيراً **﴿ ودَاعِياً إلى الله بإذْنِهِ وسِرَجاً مُنِيراً﴾** (٢).

وفّقنا الله وإياك للصواب، وفتح لنا ولك من الخير أحسن باب، فتدبَّر ماحوى هذا الكتاب، من صفات أولى الألباب وأضدادهم الحائدين عن الصواب، وسمَّيْتُهُ: " [صاحب] الذوق السَّليم، ومسلوب الذوق اللَّئيم" مما جمع فيه من نوادر وأخبار، أما بعد:

فإن الذوق السليم نتيجة الذكاء المفرط، والذكاء المفرط نتيجة العقل الزائد، والعقل الزائد هو سرٌّ الله- عز وجل- أسكنه فى أحب الخلق إليه،وأحبُّ الخلق إليه الأنبياء، وخلاصة الأنبياء: نبينا محمد- ﷺ - فهو عليه الصلاة والسلام أكمل الناس عقلاً، وأرضاهم خُلُقاً، وأكثرهم فضْلاً، فمن وصفِهِ- ﷺ - ما قاله "القاضى عياض" فى "الشّفا" (٢)

---

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٦.

(٢) شرح الشفافى شمائل المصطفى: ٥٤٤/١.

عن "عائشة"- رضى الله عنها- أنها قالت: "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ النَّاس خُلُقاً". (١)

وعن "على"- رضى الله عنه- قال: سألت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن سُنَّتِهِ، فقال: "المعرفة رأس مالى، والعقل أَصلُ دينى، والحب أساسى، والشَّوقُ مَرْكَبى، وذِكْرُ الله أنيسى، والثقة كَنْزى، والحزن رفيقى، والعلم سلاحى، والصبر زادى، والرضى غنيمتى، والفقر فخرى، والزهد حرفتى، واليقين قولى، والصدقة شفيعى، والطاعة حسبى، والجهاد خلقى، وقُرَّةُ عينى الصلاة". (٢)

ومما أفيض من بركته- ﷺ -على علماء هذه الأمة وعقلائها وفصحائها فمن ذلك: "صاحب الذوق السليم"، ومن ذلك "صاحب الذكاء

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم: ١٨٠٥/٤ كتاب الفضائل باب كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا حديث رقم: ٢٣١، وهو جزء من حديث طويل أخرجه الترمذى: ٣٤٢/٤ برقم: ٢٠١٦، كما أخرجه الترمذى عن أنس: ٣٢٣/٤- ٣٢٤ برقم : ٢٠١٥ وقال الترمذى حديث حسن صحيح، كما أخرجه أحمد: ٢٣٦/٦ برقم: ٢٦٠٣٢ عن عائشة.

(٢) الحديث فى مناهل الصفافى تخريج أحاديث الشفا برقم: ٣٢٢، وقال عنه السيوطى: حديث موضوع، وقال عنه العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: ٣٥٠/٤ "ذكره القاضى عياض من حديث على بن أبى طالب ولم أجد له إسناداً".

المفرط"، ومن ذلك: "صاحب العقل الزائد"، وضدهم من الأشرار فى الدَّرْكِ الأسفل من النار.

صاحب الذوق السليم

مزاجه مستقيم، طبعه رَزَان، وفيه أنواع الإنسان، يتخذ التواضع سنة، والعطاء من غير منَّة، والعفو عند المقدرة، والتَّغَفُّل عند المعيرة، لا يزدرى فقيرْ،[١] ولا يتعاظم بأمير، لا ينهر سائلْ،[٢] ولا هو عما لا يعنيه سائل، كريم طروب، قليل العيوب، كثير السَّماح، جميع خصاله ملاح، منادمته ألطف من الراح، صاحب الأصحاب، حبيب الأحباب، ليس بكذابٍ ولا مغتاب، نطقة صواب، عفيف شريف، كيِّس لطيف، ليس بكثيف، مكمّل الذات، مليح الصِّفات، ليس بقتّاتٍ[٣]، يُواسيك ويُسلّيك، ويتوجَّع إليك ويُعْطيكَ، ويُتْحِفُكَ بعلمه وماله، ولا يُحوجُك إلى سؤاله، ينظر إلى المضطر بعين الفراسة، ويواسيه بأحسن الكياسة، رجل همام والسلام.

---

(١) سكن: فقيراً لإقامة السجعة.

(٢) سكن: سائلاً لإقامة السجعة.

(٣) القتّات: النّمام.

صاحب الذَّكاء المفرط

جوابه مُسكِتٌ، يُشارك العلماء من غير اشتغال، ولا يتكلم بمحال على كل حال، عقله صحيح، وتكلُّمه مليح، ونظمه فصيح، لا يحتاج إلى المنطق ولا إلى الألفية، وتلك المعالم من نفسه سجيَّة، يرتب الألغاز والأحاجِيَّات، ولا يحتاج إلى العروض فى تلك الأبيات، يُصَنِّفُ مسائل وخزعبلات، رجل دِهْقَانْ،[١] صاحب ذكاء مِلْسَانْ،[٢] يصنف مثل الألفية، وله فى تلك العلوم غِيَّة، يهندس ويُرَتِّب ويُفصِّل، ويُدَيْونْ ويحصل ، صاحب حساب وديونة، وفهرسة وعنونة، يركب أطعمة وشرابات، ومعاجين وعلوكات، يعرف الطب والجراح، وأياديه فى كل صنعة ملاح.

صاحب العقل الزائد

خيره متزايد، شرُّه متباعد، رضى الخلق حليم، عزيز النفس كريم، ليس بكذَّاب ولا لئيم، لا يفرح بالمصيبة لأعدائه، مشتغل بأدوائه، لا يقصد إلا رضى الله، راضٍ بما قسم الله، ينظر إلى القائل بعين الفراسة، ويواسيه

---

(١) الدِّهْقَانُ: التاجر، أو القوى على التصرف مع حدَّة، فارسى معرب، انظر المعرب من الكلام الأعجمى: ١٤٦.

(٢) المِلْسَان: الفصيح.

بكياسة، لا يَحْسُدُ الأمير على إمارته، ولا التاجر على تجارته، مشتغل بالله، فهو عبدالله، كثير الصمت والسكوت، جعل الله لقلبه عيون،[١] فهو ضد المجنون، لا يتكلم بغِيْبَة، ولا يفرح بمصيبة، يبذل المجهود في رضى الأصحاب، وهو من أولى الألباب، يفتح لكل خير باب[٢]، عارف بطرق الصواب، يكرم الفقراء ، ولا يهجر الأمراء، ولا يجالس كثيف،[٣] ولا يملُّ كل لطيف، رجل همام والسلام.

وضد ذلك من الأشرار

فى الدَّرْكِ الأسفل من النار، وهو "المنافق" لغير دين الله موافق، فهو للشيطان أقربْ، بالدين يلعب، زنديق مذبذب، إن عبر كنيسة اليهود، قاموا له بالجلود، وإن عبر كنية النصارى، وقع فى الخسارى، صلاته عوجاء، لا وضوء ولا استنجاء، لا يعبر جامع المسلمين إلا أن يكون يتفرج على القناديل، خوان ليس بأمين، يشهد بالزور فى كل الأمور، إن خاصم فجر، وإن شهد قهر، وإن استؤمن خان، فى كل مكان، فى كل المِلَلِ حيران، فهو من أهل النيران.

---

(١) سكّن: عيوناً لإقامة السجعة.

(٢) سكّن: باباً لإقامة السجعة.

(٣) سكّن: كثيفاً لإقامة السجعة.

المسلوب الذوق الأحمق

عقلـه ممزق، وعيناه تتبحلق، يعيّط ويبقبق[١]، لا يهتدى لصواب، ولا يتأمل ردَّ جواب، إن مدحته ازدراك، وإنْ تركته عاداك وهجاك، ما لعلته دواء، والخير والشر عنده سواء، لو فرشت خدَّك له بالأرض، يظنُّ أن ذلك عليك فرض، إذا لبس الشئ الجديد، يظن أن جميع الناس له عبيد، وهو فى نفسه غلطان، ويظنُّ أنه سلطان، كما قيل فيه هذا البيت المفرد:

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعَوِي   عَنْ جَهْلِهِ وخِطَابُ مَنْ لا يَفْهَمُ[٢]

فهو من أنكاد الدهر، والخلق جميعاً منه فى قهر، رجل مطلاق، سيئ الأخلاق، سبحان الملك الخلاق، كما قال بعضهم فيه:

لكُلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ بـــه   إلاَّ الحَمَاقَةَ أعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيها

وقيل للسيد المسيح صلوات الله وسلامه عليه، أنت تبرئ الأكمة والأبرص، وتحيي الموتى بإذن الله تعالى ولا تداوى الأحمق؟ فقال: هذا الداء أعيانى.

---

(١) يبكى ويكْثر كلامه.

(٢) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى: ٤٦٥/٢ لأبى العلاء المعرى، تحقيق الدكتور/ عبد المجيد دياب- دار المعارف ١٩٨٦م.

النَّدْلُ من الرِّجال

قليل الوفا، مصفوع القفا، قليل الغيرة، مع كل خيل مغيرة، قليل الأدب، كثير الضحك بلا عجب، كثير النوم، قليل الهمّة بين القوم، لا يقضى حاجة، كثير اللجاجة، يأكل الأكل الكثير، ولا يرى لذلك تأثير[١]، ولو خربت الشام وسائر الثغور، تراه من غير فكرة فى الحارات يدور، يهوى الخصال القباح، ويترك الخصال الملاح، كثير العيوب، وهو من الذوق مسلوب، وفيه أحسن من قال:

يَدَعُ الذُّبابُ جميعَ جِسْمِكَ سالماً وتراهُ لا يأوى لغيْرِ جَرِيحةِ

كالنَّدْلِ يعدل عن جميلِ صَدِيقهِ وتراهُ لا يأتى لغيرِ قبيحةِ

رحم الله من تأمَّل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها انفصالاً لا اتصالْ.[٢]

---

(١) سكن: تأثيراً لإقامة السجعة.

(٢) سكن: اتصالا للسجعة.

صاحب الذوق السليم من الملوك

قد سلك في المملكة أحسن سلوك، أقامه الله- عزَّ وجل- لمصالح العباد، فبذلك أجاد وساد، يعدل بين الرعية ، ولا يجعل عسكره سَوِيَّة، بل يُنزل الناس منازلهم، ولا يقطع عوائدهم، يستن السنة الحسنة، ويعلم أن: " عدل ساعة خير من عبادة ألف سنة"[(١)]، كريم سيوس، لا يعجِّلُ فى إتلاف النفوس، يجير الخائف، ويغيث الملهوف، حامى دين الله بحدِّ السيوف، مجاهد مرابط، فهو لدين الله ضابط، رأيه سعيد، فعله رشيد، ورأيه سديد، إذا وعد وفا، قليل الجفا، لا يقرب السفهاء ولا الفساق، خشية من سُخْطِ الخَلاَّق، قليل الخطا، كثير العطا، تاج الملوك، مليح السلوك، فهو لله مملوك، كثير التواضع والسماح، خصائله كلها ملاح، قد وهبه الله النصرة والنجاح، والعفة والصلاح.

---

(١) حديث ضعيف: ينظر تخريجه فى "السلسلة الضعيفة": رقم ٩٨٩، ونص الحديث:" يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام فى الأرض أزكى فيها من مطر أربعين يوماً".

وضد ذلك المسلوب الذوق الأحمق من الملوك

لا يفهم للملكة سلوك[١]، يتبع خطوات الشيطان، ويأتى بكلام ما أنزل الله به من سلطان، يستعمل أظلم العمال، لأجل جمع المال، فتخرب البلاد، وتهلك العباد، وتصير بذلك أمراؤه جائعين، ومماليكه ضائعين، فما بال حال البائس الفقير المسكين، تعطلت صناعته، وكسدت بضاعته، فلا أمير فرحان بإمارته، ولا تاجر يربح فى تجارته، يؤمر اللُؤماء على الكرماء، ويُهين الفقراء، ويزدرى العلماء، أيامه كلها ظلام، على جميع الأنام، إن وعد أخلف ، وإن أصلح أتلف، ما لمملكته رتبة، وأجلابه أنحس جلبة، لا يغيث ملهوف[٢]، ولا له من رافد معروف، لا يكشف كربه، ولا يطلب عند الله قربة، كأنه الشيخ عقبة، يقتدى بآراء الفساق، أحمق سيئ الأخلاق، سبحان الملك الخلاّق، يعجل فى إتلاف النفوس، برأيه المعكوس، لا يتأمل كلام من كذب عنده ولا من صدق، والدعوى عنده لمن سبق، لا ينظر فى أحوال العباد، كأنه من قوم عاد، يريد أن يكون له بالصلاح سمعاً، وهو كما قال الله تعالى: **﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا﴾**. [٣]

---

(١) سكن: سلوكا لإقامة السجعة.

(٢) سكن: ملهوفاً لإقامة السجعة.

(٣) سورة الكهف: ١٠٤.

صاحب الذوق السليم من الأمراء

يميل الميمنة على الميسرة فى الحرب، ويكشف عن الجيوش الكرب، سيفه قاطع، ودرعه مانع، وهو للمسلمين أنفع نافع، يوهب المماليك، ويتفقد الأرامل والصعاليك، فارس الخيل، كرمه كالسيل، جَوَامِكُ[(١)] غلمانه مغلقة، مُكْثِر الشَّفقة، كثير الخير والصَّدقة، رمّاح مليح، واعتماده فى النشاب صحيح، يضرب بالسيف، ما عنده لا جور ولا حيف، معاملته جيّدة، وحركاته مؤيدة، يخالف الشيطان، وهو طوع الإنسان، ما عنده لا كبر ولا نفاق، بشوش طيّب الأخلاق، لا ينهمك على الأقداح، بل ينهمك على الصلاح، ذو حشمة وهمة، وهيبة ولَمّة، ملك الأمرا، أشجع من تسورا، على أفراسه العُرَا، كثير الاحتمال، عارف بمواقع الرجال فى الحرب والنزال، يأكل رزق السلطان حلال[(٢)]، واقف بباب الفقير كالأسير، فهو نعم الأمير.

---

(١) الجَوَامِكُ: رواتب الجنود، مفردها: جاميكة.

(٢) سكن: حلالاً للسجعة.

وضده المسلوب الذوق من الأمراء

قليل الدِّين، يظلم المساكين، ومماليكه ضائعين، لا جامكية ولا عليق، فهم يخطفون العمائم ويقطعون الطريق، ما يؤدى حقًّا من الحقوق، لا لله ولا لمخلوق، فهو شيخ الفسوق ، بيته من الخير ناشف، ما يخدمه عارف، إن خدمه أستادار [١] وقع فى النار، كذلك الفَرّاش والطَّشْتَدَار [٢]، قليل الهمة، ما يطلع لخدمة، فى نفسه غلطان، وفى ظنه يبقى سلطان [٣]، منتن الذقن خسيس، أنحس من إبليس، ظالم غاشم، ما يخشى المآثم.

صاحب الذوق السليم من الأجناد

قليل العناد، منفعة للعباد، يعرف أمور الحرب، ويكشف الكرب، سيفه قاطع، ودِرْعُهُ مانع، فارس الخيل، كرمه كالسَّيل، يضرب بالسَّيف، ما عنده حيف، معاملتُهُ جيِّدَة، وحركاته مُؤَيَّدَة، كثير الاحتمال، عارف بمواقع الخيل والنزال ، سلامه مليح، وإيمانه صحيح، يتجنب القول القبيح، لسانه فصيح،

---

(١) الأستادار: الذى يتولى النفقة على دور السلطان وقصوره.

(٢) الطَّشْتَدَار: الخادم الذى يصب الماء لغسل اليدين.

(٣) سكن: سلطاناً للسجعة.

من أحسن الجيوش، عاقل سيوس، ما يستخدم غلاماً منحوس[١]، ما يحاسب عائلته على شئ من الفلوس، رئيس مرؤس.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الأجناد

كثير العناد، مرصد لظلم العباد، زنديق حليق، ماله صاحب ولا صديق، ما يقدر على عليق الفرس، وفى قلوب الحكام منه غصص، ماله دين، يظلم المساكين، لا هو عاقل مع العقال، ولا مجنون مع المجانين.

صاحب الذوق السليم من الأتراك

كيس ظريف، عفيف شريف، مشتغل بكمال نفسه، وملاعبة زوجته، وتعليم فرسه، وإصلاح قوسه، فذلك أحب المباحات إلى الله، يبتغى بذلك وجه الله ، سيفه قاطع، ودرعه مانع، ثابت الجنان، ليس بجبان، ولا باخل ولا منان، كثير الإحسان، باليد واللسان لكل إنسان، يحب الكريم من أهل الهمم، يترك الكثافة، ويغوى اللطافة ،لا يعاشر كودن[٢] ويتخذ من كل شئ الأحسن، من العُجْب والكبرياء مجرد، فهو فى أبناء جنسه مفرد، كلام أهل العلم عنده مقبول، عارف بالأصول، فهو مليح، وتخيله صحيح.

---

(١) سكن: منحوساً للسجعة.

(٢) سكن: كودناً للسجعة، والكودن: البغل.

وضد ذلك المسلوب الذوق من أبناء الترك

كثير العلاكِ، تحدثه بالعربي ، يحدثك بالتركى، لا يعرف رمحاً ولا نشاب[١]، يفتح للشر أبواب[٢]، لعبه لكام، ويخبط فى الكلام، يقطع الطريق، ولا له صاحب ولا صديق، مضارب مخانق، لوالديه عائق.

صاحب الذوق السليم من الغلمان

نظيف العرض والثياب، معاون فى الصواب، لا يستثقل بخدمة، شاطر صاحب همة، لا يدمدم لانقطاع الجامكيَّة، ويخدم الضيوف ولو كانوا ميّة، ويقضى الحاجة ولو كانت فى اسكندرية، رجل همام، فهو نعم الغلام.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الغلمان

يسرق عليق الفرس، فى قلب الجندى منه غصص، حرفوش ما يملك قنشار، ما يصحو من المِزْر[٣] لا ليل ولا نهار، يخطف العمائم ويقطع الطريق، مفلس لا له صاحب ولا صديق.

---

(١) سكن: نشاباً للسجعة.

(٢) سكن أبواباً للسجعة.

(٣) المِزْرُ: نوع من النبيذ مصنوع من الشعير أو الذرة.

صاحب الذوق السليم من القضاة

لا يقبل الرشوة، ويترفق فى سماع الدعوة، لا يسعى فى وظيفة، ويتأمل ما قال " أبو حنيفة "، ينظر فى حال المسكين، ويحصل له عليه من المشقة كمن ذبح بغير سكين، رَضىٌّ الخلق سيوس، ضاحك غير عبوس، يساوى بين الخصمين، وينظر فى حقيقة الدين، لا يميز صاحب ألف دينار على من لا يملك قنشار، ويعلم أن "قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار"(١) ، يخشى أن يقول : حكمت ، وَرُبَّ قائل يقول : ظلمت، لا يراعى فى الحكم جار(٢)، ويخشى أن يُحرق بالنار، له معانٍ وبيان، وفقه وتصريف بإمكان، فهو خير إنسان، نطقه سعيد، وخيره مديد، قد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد، لا يحكم بإغراء من الأمراء، لما سلك طريق العلماء، وعزّة الفقهاء، ولا يحكم بأغراض الملوك، وقد سلك بهذه الطريقة أحسن سلوك، يعلم أن كل ملك لله مملوك،فهو خائف من الله،متوكل على الله،لا يحكم إلا بحكم الله،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود: ٥/٤ حديث رقم: ٣٥٧٣، والترمذى: ٦١٣/٣ حديث رقم:١٣٢٢، وابن ماجه: ٧٧٦/٢ حديث رقم: ٢٣١٥ ، وقد أورد السيوطي الحديث على الحكاية

(٢) سكن : جارا لإقامة السجعة .

لا يقبل شهادة الزور، ولو كان على وزن خردلة فى كل الأمور ، فرحم الله- تعالى- من تأمل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها اتصال.[١]

وضد ذلك المسلوب الذوق من القضاة

قد فتح للزور دكان[٢]، لا فقه ولا معانى ولا بيان، عارى من نوع الإنسان، كأنه حيوان، ألكن اللسان، لا يسوى بين الخصمين، ويقبل الرشوة ولو كانت فلسين، إذا غضب يقول: حَكَمْتُ، ولا يفكر فيمن يقول له: ظَلِمْتُ، يحكم بأغراض الأمراء، ولا يرافق العلماء، ويزدرى الفقراء، عبد الجاه، رجل وجاه، قد أفلح من هجاه، كثير الشَقشَقَة مِلسَان، يُعرض عن الحق عيان، قد حُرم نعيم الجنان، يقبل شهادة الزور، ولا ينظر فى عواقب الأمور، كأنه لا يؤمن بالبعث والنشور، ولا يرى التنقل من القصور إلى القبور، فهو رجل مغرور أو مسحور، فلا يفيق من الغفلة، كأنه أخذ زماناً من المهلة، فهو أضعف من نملة، وقد قيل فى هذا المعنى:

فلا تُؤذِ نملةً إنْ أرَدْتَ كَمَا لَكَا فإنَّ لها نفساً تطيبُ كَمَا لَكَا

---

(١) سكن: اتصالاً لإقامة السجعة.

(٢) سكن: دكاناً لإقامة السجعة.

ليس هو أهل الوظيفة، ولا يتأمل ما قال " أبو حنيفة "، الذى دوَّنَ الفقه رضى الله عنه، فالله تعالى راض عنه، فهو فى الآخرة مسرور، مُمَتَّعٌ فى القصور بالحور، وقد رضى عنه الرَّحْمَن، وأسكنه فسيح الجنان، فرحم الله من اتبع النعمان، وأعرض عن القضاء فى هذا الزمان.

صاحب الذوق السليم من الموَقّعين

لكاتب السر معين، على أسرار الملوك أمين، قد قرا ودرا، وفهم مكاتبات الملوك والأمرا، والمباشرين والوزرا، ومكاتبات الكتاب، ومراسلات الأحباب والأصحاب، رأيه صواب، يفتح لكل خير باب[١]، يعرف علم الإنشاء وعلم الكلام، رجل همام، على الملوك مقدام، صاحب معرفة وآداب، ذكاؤه مفرط عجب، عارف بمقام أهل الرتب، صاحب منظوم ومنثور، وتدبير فى جميع الأمور، خطه مليح، ولسانه فصيح، يعجز الفصحاء من الكُتَّاب، بسرعة قراءة الكتاب ورد الجواب، له مشاركة فى جميع الأمور والعلوم، ليُزيل بذلك من قلوب الملوك الغموم، لا متكبر ولا وضيع، قد أتقن صناعة التوقيع، رجل همام والسلام.

---

(١) سكن: باباً لإقامة السجعة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الموقّعين

أدلـع الدلعيـن، لا كاتـب ولا معيـن، ولا هـو لأسـرار الملـوك بأميـن فكأنـه لا قرا ولا درا، ولا يعرف مصطلح الملوك ولا الأمرا، ولا المباشرين ولا الـوُزَرا، إذا كاتـب الـنواب، أوقـع الشـر والضـراب، اشـترى الوظـيفة بـالفلوس، برأيه المعكوس، أحمق رقيع، أيش[١] كان بلاه بصناعة التوقيع، مـا يحسن قـراءة كـتاب، ولا يفهم رد جواب، ولا يعرف مراسلة الأصحاب والأحباب، وهو فـى الحماقـة عجب، جبان غير مقدام، ولا يفهم شيئاً مـن الكلام والسلام.

صاحب الذوق السليم من الخطباء

علـىّ الرتبة، قصير الخطبة، معانيه منتخبة، ألطف من نسيم الصَّبا، يعظ نفسـه قبل أن يعظ الـناس، عوّذته برب الفلق والناس، يخفف الركعتين، والجلسـة بين الخطبتين، يعرف ولا يُعرف، يُبَشّر ولا يُنّفر، لا يقنط العوام ببعد الأمل، ولا يبالغ فـى الرجاء خوفاً من إبطال العمل، بل يعرفهم طريق الإسـلام، ويرغبهم فى الجنة بصفاتها ، ويحذرهم من جهنم وزفراتها، يروع المتكبرين، ويبشـر الفقراء والمسـاكين، بأن لهم الجنة برحمته وكرمه ومنّه،

---

(١) أيش: بمعنى أى شئ.

يعرف لكل شئ خطبة، وذلك لمعرفته بطريق الرتبة، ويبالغ فى نعت الصحابة أجمعين، والخلفاء الراشدين، يبتدى بأبى بكر وخصاله الملاح، ويختم بأبى عبيدة بن الجراح، خطبته لها رونق وسمعة، وتؤثر فى القلوب موعظته من الجمعة إلى الجمعة ، إنسان مليح ، لسانة فصيح ، لا يحتاج في إنشاء الخطبة إلى مساعدة، كأنه قُسُّ بن سَاعِدَة، يبتدئ بالحمد لله، ويختم بالصلاة والسلام على رسول الله- ﷺ - له فى الدين تمكين، مثل هذا يصلح أن يكون خطيب المسلمين.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الخطباء

لا يراعى القوافي، وحسه من فوق المنبر خافى[1]،لا يعرف الناس من العجلة ما يقول، كأنه بُهْلُول ، يتلف التصنيف، ويروى الحديث الضعيف، كأنه من فقهاء الريف، يجعل الخطبة بأجمعها وعيد، ويذكر العذاب الشديد، لا يعرف تأليف الخطبة، وليس له رتبة، لا تنفع فيه موعظة، ولا تؤثر موعظته فى القلوب، لأنه من العلم والعقل مسلوب، يطيل الخطبتين، ويقرأ فى كل ركعة سورتين، لا يسلم من اللحن والغلط،

(١) أشبع الياء للسجعة.

والناس معه فى تعب وشطط، كثير الوسواس، وهو مع ذلك يزدرى الناس، وحاله عجيب، فلا يصلح أن يكون خطيب[١].

صاحب الذوق السليم من الشهود

يخشى الرَّبَّ المعبود، رأيه مسعود ، وقلمه بالخير ممدود، قرأ الكتاب، وعلم الصواب، لو عُيِّنَتْ له مملكة مصر وسائر الثغور، ما يقرب شهادة الزور، قَبِلَ الوصية من خير البرية، فعيشته هنية، وأموره رضية، عالم بأصول الدين، وصحة عقود المسلمين، فهو صاحب العدل والنقاء، ولا يناله تعب ولا شقاء، رجل أمين، محافظ على الدين، خائف من رب العالمين، لا يرافق الفساق، ولا يأكل فى الأسواق، كثير التواضع والسكون، له أجر غير ممنون، طيب الأخلاق، يُحْسِنُ للرفاق، ويكره الرجل المطلاق، يُصْلِحُ بين الرجل وزوجته، ويُرَضِّى أخلاقها على نفقته،ويأمرها له بالطاعة، ويذكرها قيام الساعة، ويأمره بمعاشرتها بالمعروف، ويكون لها مساعد وبها رؤوف، لا يكتم الشّهادة، اتخذ الخير عادة، فهو من أهل الشهادة والسعادة، والله أعلم.

---

(١) سكن: خطيباً لإقامة السجعة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشهود

لا يخشى الربَّ المعبود، رأيه مفسود، يوقع نفسه فى النار، لأجل الدرهم والدِّينار، يضيّع مال الأيتام، ويتحمّل الآثام، يساعد المرابى، وإثمه رابى[١] يشهد قبل أن يُستشهد،وهو بالشر مُعَوَّد، يشهد بالزور فى جميع الأمور، آذى من العقارب، فهو من الخير هارب، لا يقبل معذرة، ولا يتفكر ما فى الآخرة، قُتِلَ بشهادته ثلاث، ولا يعتبر بمن مات، عديم الدين والسلام، وفرغ منه الكلام، يأكل مال اليتيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يفسد نظام المرأة مع زوجها، ويقول لها: أنا أفكر لك فى المصالح، وأريحك من هذا المالح، وأنتِ امرأة جليلة، وهذه النفقة قليلة، الرجال خير من هذا كثير، ويصير زوجها معها كالأسير.

صاحب الذوق السليم من الكُتَّاب

صحيح الحساب، سريع الجواب، رأيه صواب، يفتح لكل خير باب، قلمه أخضر، وكلامه سكر، ومحلّه معطر، وغلامه مُدَبَّر، وعبده صبيح، وخطه مليح، خيره مديد، تخدمه الجوارى والمماليك والعبيد، جواره طيبة وانشراح، ومباركة وصباح، إن خدم الملوك، سلك معهم أحسن سلوك، إن

---

(١) أشبع الياء للسجعة.

ركب المساحة، وجد الفلاح به راحة، وعمّر البلاد، وطمّن العباد، وإن باشر الجهات، كان فى غاية السعادات، حبيب الصباح، خصائله ملاح، يحب الوجوه الصِّبَاح[١]، يترك عِشْرَة الوقاح، سيد الرِّفاق، سبحان الملك الخلاق، شمعته موكبية، ورتبته علية، وعيشته هنية، ومجامعهُ سكَّريّة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الكتَّاب

قليل الحساب، لم يهتد لصواب، كثير المواقعة، لا ينفع بنافعة، له ألف واقعة، أقلامه مكسرة، ودواته معصَّرة ، لا يعرف صناعة الدَّيْوَنَة، كثير العَلْوَنَة[٢]، وطائفة الكتاب معه فى حساب وعنا، من كثرة الشر والعنا.

صاحب الذوق السليم من المؤذنين

حسن الصوت أمين، لا يطلق نظره إلى حريم المسلمين، يعرف الأوقات، ويعلم الميقات، يعرف الطالع والغارب، من المشارق والمغارب، يعرف أسامى النجوم والكواكب، كأنه فوق السحاب راكب، يعرف عرض البلاد والمَيْل، وما زاد فى النهار، وما نقص من الليل، يعرف منازل

---

(١) الوجوه الصباح: الجميلة الحسنة.

(٢) أى يكثر من وضع العناوين.

الشمس والقمر، وما للنجم من تأثير إذا ظهر، يعرف فى تحديد القبلة فى الأسفار، فى الليل والنهار، والبر والبحار،، ديَّن صيِّن، يتقن صنعه الأذان، والسلام.

وضد ذلك المسلوب الذوق من المؤذنين

ليس بأمين، ويمد بصره إلى حريم المسلمين، لا يعرف ما نقص من النهار ولا ما زاد من الليل، ولا الزُّهَرَةَ من سُهَيْل[1]، ولا الطالع من الغارب، ولا أسامى النجوم من الكواكب، ولا يعرف قوس الليل ولا قوس النهار، وصوته يشبه صوت الحمار، لا يعرف تحرير القبلة فى الأسفار، لا فى الليل ولا فى النهار، كثير النوم كسلان، يؤذن فى أى وقت كان[2]، قليل العقل خسيف، يصلح أن يكون مؤذناً فى الريف.

صاحب الذوق السليم من المتكلمين على الكراسى

ينبه الغافل والناسى، أقامه الله لمنافع الناس، وغسل قلوبهم من الغل والحسد والوسواس، يؤلف بين قلوب العوام، بأطيب الكلام، ويأمرهم بإفشاء

---

(١) الزهرة وسُهيل: كوكبان.

(٢) أى لا يهتم بوقت الأذان.

السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، ويعلمهم أمور الدين، ويصيّر لهم بذلك الأمان بتمكين، يأمرهم بطاعة بعولهن، وحفظ فروجهن، ويحذرهن من النيران، ويوصيهنّ بإكرام الجيران، فهو فقيه مكمّل، صوفى مجمّل، يُعرِّف ولا يُعنف، يبشر ولا ينفر، رجل أمين، فذلك واعظ المسلمين.

وضد ذلك المسلوب الذوق من المتكلمين على الكراسى

لنفسه وأفعاله ناسى، رجل وجّاه، ألجَأهُ الإفلاس للكذب على الناس، فجلس على الكرسى، ونسى ما فعله بالأمس، جمع النسيوات، وحكى لهم حكايات، وأنشد لهم أبيات[1]، ويقول يا أختي أنت جميلة، ونفقتك قليلة، فلا بد أن أنفعك بورقة، لتزداد لك الكسوة والنفقة، يأكل الدنيا بالدين، ويتواضع للمتكبرين، ويزدرى الفقراء والمساكين، ويَتَلَقَّظُ بكلام شيطان، فى هيئة إنسان.

صاحب الذوق السليم من الشعراء

لسانه فصيح، وتخيله مليح، وهجوه قبيح، يعرف التغزل والاقتباس، والحماسة والجناس، ينظم الموشح والزجل، وكان وكان مثل

---

(١) سكن: أبياتاً لإقامة السجعة.

العسل، والدُوبيت والمواليا، والتهانى والمراثى، نظمه سريع، عارف بصانعة البديع، من أهل الهمم، وشعره حكم، قال سيد هذه الأمة: "وإن من الشعر لحكمة".[١]

يُسكر بشعره الأنام، أعظم من المدام، أفديه من نديم، يذكرنى العهد القديم وصاحب الصحاح، اكتسب منه الإفصاح، يعجب أهل الألباب، بالتواضع للأصحاب.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشعراء

أبياته مكسرة، قليل القشمرة[٢]، يسرق أبيات الناس ويكابر، ويدّعى وقع الحافر على الحافر ، لا يعرف صناعة القريض، والناس معه فى الطويل والعريض، قليل العقل خسيف، ثقيل الدم كثيف، يدعى اللطافة، وهو

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخارى: ٤٢١٨ كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر، وأبو داود: ٢٧٧/٥ كتاب الأدب باب فى الشعر حديث: ٥٠١٠، والترمذى: ١٢٦/٥ كتاب الأدب باب ما جاء إن من الشعر حكمة حديث: ٢٨٤٤، ٢٨٤٥، و ابن ماجه: ١٢٣٦/٢ كتاب الأدب باب الشعر حديث رقم: ٣٧٥٥، و الدارمى: ٢/ ٣٨٤ كتاب الاستئذان باب إن من الشعر حكمة حديث: ٢٧٠٤.

(٢) القشمرة: الخداع.

مجبول على الكثافة، لا يعرف الأوزان، ولا فيه نوع من أنواع الإنسان،كأنه حيوان.

صاحب الذوق السليم من الندماء

له أشعار ومنادمات، ونوادر مضحكات، وتواريخ وحكايات، وأسمارٌ مذهبات، يقضى حاجتك، ويُلبِّى دعوتك، ولا يخذل كلمتك، يجلب إليك السرور، ويساعدك فى كل الأمور، يأتيك بالفرح ، ويذهب عنك الترح، يحببك إلى الأصحاب، ويجمع بينك وبين الأحباب، وقيل فيه:

لو لم يكنْ مثلَ النَّسيمِ لَطافَةً   ما كانَ يعطِفُ لى غصونَ البانِ

رجل مطواع، لقولك سمَّاع، يدرى الجميل، ويقنع منك بالقليل، يعلمك الخير، ويسير بك أحسن سير، ويعلمك الكرم، ويترك عنك الندم، ويعلمك السخاء والسماح،والخصائل الملاح،يواسيك ويسليك، ويتوجع إليك ويكفيك، فهو الخليل والرفيق، فنعم الصديق.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الندماء

كثير الغلبة، مالح الرقبة، ذو فهم معكوس، ما يعاشر إلا لأجل الفلوس، يظهر الشفقة إليك، وهو فى الحقيقة عليك، يقطع على الحاكى حكايته، ويحكى مثلها بسماجته، يشبِّه الماء بالماء، ويدعى البصيرة وهو فى

الحقيقة أعمى، ينغص العيش بالمكابرة، وبثقالة الدم والمحاورة، يظهر القبيح، ويخفى الجميل،دنئ النفس طمّاع، خسيف العقل فرقاع، يصافى من يعاديك،ويصاحب من يجافيك،يفشى الأسرار،مكّار عيّار،كثير الفشار، كمثل الحمار يحمل أسفار[١]، يحسد على النعمة، ويفرح للنقمة، دعوته عريضة، وطَوِيَّتُهُ مريضة، ببغّضك إلى الأصحاب، ويبعد بينك وبين الأحباب.

صاحب الذوق السليم من الطفيلية

قريب من أولاد الناس، وخدمة أبناء الناس فى نفسه سجية، نظيف الثياب سريع الجواب، إذا سقيته دمعة، يخدمك جمعة، لعوب ضحوك، للأصحاب مملوك، يشرح الأصحاب ، ويجلب لهم الأحباب .

وضد ذلك المسلوب الذوق من الطفيلية

لا يعرف شيئاً من السخرية، عشرته بلية، يعرف بيت الوليمة، ويحضر بلا عزومة،شيطان عيّار،أو كل من نار،يأكل خاروف[٢]، ويحسبه

(١) سكن: أسفاراً للسجعة، وهى من قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارَا**﴾ سورة الجمعة: ٥.

(٢) سكن: خاروفاً، لإقامة السجعة.

صاحب الدار من الضيوف، ضبع من الضباع، قليل الحساب طماع، يركب بلاش، ويلبس أضرط القماش، شيخ الفسوق، مأواه باب اللوق.

صاحب الذوق السليم من الشحاذين

قليل السؤال، كثير الاحتمال، يرضى بالقوت، حتى لا يصير ممقوت[١]، راض بقسمة الله، متوكل على الله، يمضى خماصاً ويعود بطاناً، فهو من الشيطان فى أمان، لا يكنز شيئاً من المال، كثير الصبر والاحتمال، يقينه صادق، يكره سؤال الخلائق، زاهد فيما فى أيدى الناس، خال من الهم والوسواس، مواظب على الخمس، لا يحزن على ما فاته بالأمس، مهذب الأخلاق، لا يخالف الرفاق، كل خلوة عنده حلوة، إذا حصلت له المؤونة، فلا يشق المدينة، عفيف النفس نظيف، لا يسأل الناس فى أكثر من رغيف، والله أعلم.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشحاذين

يشحت بالقسم، ويُقلِقُ الأمم، ثقيل الدم لحوح، لو حلفت له بالطلاق ما يخليك ويروح، جَرَبَنْدِيَّتُهُ[٢] ملآنة كُسَر، ويحلف بالطلاق أنه مافطر،

(١) سكن: ممقوتاً لإقامة السجعة.

(٢) الجربندية: الجراب.

يجحد نعمة الله ، ولا يرضى بما قسم الله، وقلبه ملآن من الحسد، ولا يشكر أحد[١]، يكنز الفضة والذهب، ورؤيته فى القذارة عجب، يسأل وعنده ما يكفيه بالمزيد، فكأنه من نار جهنم يستزيد، لا يشترى حاجة بفلوس، بل يشحت من النصارى واليهود والقسوس، كثير السؤال، قليل الاحتمال، نذل من الأنذال، ما يكفيه كافية، فلا شفاه الله تعالى بعافية، يحسد على النعمة، ويفرح بالنقمة، يبغّضك إلى الأحباب، ويُبْعِدُ بينك وبين الأصحاب،كثير الفجاعة كذاب، لا ينفع ولا يستنفع، وهو من "أشعب" أطمع.

صاحب الذوق السليم من العوام

يفهم بعض الكلام، كثير القشمرة، قليل المعيرة، يقضى حوائج أولاد الحارة، ولو وقع فى الخسارة، خفيف الروح مزاح، وهو كثير السماح، يلعب بالطاب والكنجفة[٢]، وله فى طريق الخداع معرفة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من العوام

كذاب حلاف، عاوز بردعة ولكاف، مشيه حافى[٣] وعدوه الإسكافي عمره ما صلى ركعة، وله فى الشر سمعة.

---

(١) سكن: أحداً لإقامة السجعة.

(٢) الكنجفة: أوراق اللعب.

(٣) أشبع الياء فى حاف للسجعة.

صاحبة الذوق السليم من النساء

لينة المعاطف، قلبها من الله خائف، لا تكلف بعلها ما لا يطيق، فهى من المؤمنات بالتحقيق، ليست سخابة ولا كذابة، جفونها وسنة، وألحاظها حسنة، تقنع باللباب، ولو كانت الخيشة لها جلباب[١]، شفوقة، رفوقة، فهى نعمة وثيقة، تأكل من ماله بالمعروف، ولو ذبح لها فى كل يوم خاروف[٢]، لا تشكو بعلها للجيران، خائفة من النيران، نهارها صيام، وليلها قيام، ودينها تمام !! كثيرة السكون، سوداء العيون، عاشقها مفتون، كيسة ظريفة، عفيفة شريفة، لطيفة نظيفة، لا تنقض العهود، قليلة الصدود، ناعمة الخدود، لا تسفر عن وجهها لغير بعلها، ولا تلين كلمتها إلا لأهلها، تزيد محاسنها بالعبادة، وتتخذ الخير عادة، داعية إلى الله أن تموت على الشهادة، فافهم يا إنسان هذه الخصال الحسان.

---

(١) سكن: جلباباً لإقامة السجعة.

(٢) سكن: خاروفاً لإقامة السجعة.

وضد ذلك المسلوبة الذوق من النساء

سخابة سخاطة، حرفوشة عياطة، تكلف زوجها ما لايطيق، فهى فى جهنم بتحقيق، لا تقنع بالحلال ولا القليل، ولا تراعى فى الأنام خليل[١]، كثيرة الملل، ولو لبستْ حلة من الحلل، تكره الحلال، وتُبدى له الضجر والملال، كثيرة الرفاق، وتهوى السحاق، كما قال فيها بعض الحذاق :

شيخةُ الفِسْقِ والمعاَصِى جميعا　　حلَّلتْ فى الحرامِ ما لا يجوز
ساحقت طفلة، ولاطت فتـــــاة　　وزنت كهلة، وقادت عجـوز

فرحم الله امرأة تأملت هذه الخصال، وجعلت بينها وبينها انفصال.[٢]

صاحبة الذوق السليم من الجوارى

صحة وسلامة من كل عار، راشدة رشيدة، مباركة سعيدة، ناعمة لذيذة، أحسن من حضر فى المقام، تفتن الأنام، فهى- لمن وصلت- طيِّبة لطيفة الانشراح، كأنَّها نور الصباح، تعد من الملاح، خَوْدَةٌ رَدَاح[٣]، تصلح

---

(١) سكن: خليلاً لإقامة السجعة.

(٢) سكن: انفصالاً لإقامة السجعة .

(٣) الخودة: الناعمة الحسنة الخَلْق، والرداح: الممتلئة من النساء.

للنكاح، خصائلها ملاح، بها زاد المال، كثيرة الصبر والاحتمال، رُبِّيت فى الدلال، بدا الخير بها والاعتدال، فهى رأس السعادة، تتخذ الخير عادة، كثيرة الخدمة، عالية الهمة، فهى قهر العدا، وكيدُ الحسود، وسيدها عليها محسود، ناعمة الأكعاب، فهى من الأتراب، تُهدى للأحباب، من باعها فقد خاب، ومن اشتراها أصاب، أحسن من غزال، وأحلى من وصال، جوهرة يتيمة، هادية كريمة، لها فنون وذوق، ولها زاد الشوق.

وضد ذلك المسلوبة الذوق من الجوارى

لا صحة ولا سلامة، تورث صاحبها الندامة، فيها كل عار، أفشر من فشار، بائعها عيَّار، وشاريها حمار، سارقة هاربة بالليل والنهار، لاراشدة ولارشيدة، ولا مباركة ولا سعيدة، متعوسة، منكوسة، كأنها وجه جاموسة، منبوشة، برطوشة، ما تسوى قطعة قرقوشة.

صاحب الذوق السليم من العبيد

راشد رشيد، موفق سعيد، مبارك وليد، لسانه فصيح، ووجهه صبيح، محافظ على الصلوات والآداب، رأيه صواب، أشجع من عنتر، وأفخر من ياقوت وجوهر، ريحانة العبيد، أقوى من الحديد، شاطر أسمر،

أسرع من قنبر [١]، فتى فى الرجال، حظُّهُ كَحَظِّ بلال، بدر أقمر، سعد أكبر، أضوأ من الهلال، أغلى من دينار، حامى حمى سيده بالحسام، فهو سيد أولاد حام، يُحصل لسيده الفرح، ويُذهب عنه الترح.

وضد ذلك المسلوب الذوق من العبيد

أبلم بليد، لا سعد ولا سعيد، ولا مقبل ولا رشيد، قوته لحم الفار، وشربه الأمزار، ما يسوى قنشار، ولا ربع ثمن سدس دينار، عاوز منقلة جزار وأشطار، أو بردعة وحمار، ينقل عليه طول النهار، الحرام له غيّه، وفيه سائر العيوب الشرعية، مخانق مضارب، سارق هارب، إن شبع فسق، وإن جاع سرق، فهو لكل شرٍّ مفتاح، ما فيه نجاح ولا فلاح، جبار عنيد، عاوز قيد حديد، ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [٢]، وانتهى بنا إلى هنا حسن الكلام، والسلام.

(١) قنبر: غلام الإمام: على بن أبى طالب- رضى الله عنه.

(٢) سورة فصلت: ٤٦.

خاتمة الكتاب

وهذا شئ مختصر من مطايب الكلام

الحمد لله على التمام، وعلى آله الكرام، وأصحابه العظام، وعلى كل منسوب لجنابه من أهل الإسلام.

قصة بُهْلُولِ المجنون(١)

قال مالك بن دينار(٢)- رحمه الله تعالى- أتيت المقابر يوماً لأنظر فى الموتى وأعتبر، وأفكر فى أمرهم وأزدجر، فجعلت أجول بين المقابر، وأُنْشِدُ بذهن حاضر:

أتَيْتُ القُبورَ فَنَاديتُها	**فأينَ المعظَّمُ والمُفْتَخَرْ؟!**
وأيْنَ المُدِلُّ بسُلْطَانِهِ؟	**وأيْنَ العَزِيزُ إذا ما قَدَرْ؟**
وأيْنَ المُلَبِّى إذَا ما دَعَا؟	**وأيْنَ المُزَكِّى إذا ما افْتَخَرْ؟**

---

(١) بُهلول بن عمرو الصيرفى، من عقلاء المجانين، له أخبار ونوادر وشعر، توفى سنة ١٩٠هـ.

(٢) مالك بن دينار البصرى، من رواة الحديث، كان ورعاً يأكل من كسبه،ويكتب المصاحف بالأجرة، توفى فى البصرة سنة ١٣١ هـ.

فإذا بصوتٍ يجيبُنى ويُنْشِدُ:

تَفَانَوا جميعاً فلا مَخْبــــرٌ	وبادوا جميعاً وبَادَ الخَبــــرْ
تَنُوح عليهم بناتُ الثَّــــرى	وتمحوا محاسِنَ تلكَ الصَّوَرْ
لقد قُلِّد القَوْمُ أعمالهـــــم	فإمَّا نعيم وإمـــــــَّا سَقَرْ
وصَاروا إلى مَلِكٍ قـــــادرٍ	عزيزٍ مطاع إذا مــــا أمــــَرْ
فَيَا سائِلى عن أنَاسٍ مَضَوا	أمَالكَ فيمَنْ مَضَى مُعْتَبَــــرْ

قال: فنظرت، فإذا ببهلول المجنون قاعد بين قبرين، وهو ينظر إلى السماء فيبتهل، وإلى الأرض فيعتبر، وعن يمينه فيضحَك، وعن يَساره فيبكى، فسلمت عليه فردَّ على السلام، فقلت: يا بُهْلُول: أراك قعدت بين القبور!، فقال: نعم، قعدت عند قوم إن حَضَرْتُ عندهم لا يُؤذوننى، وإن غبت عَنْهُم لا يَغْتابوننى، فقال: أرَاك تنظر إلى السَّماء فتبتهل، وإلى الأرض فتعتبر، وعَنْ يمينك فتضحك، وعن يسارك فتبكى.

فقال: إذا نظرت إلى السَّماء ذكرت قوله تعالى: **﴿ وفى السَّمَاءِ رزقُكُمْ وما تُوعَدُون﴾** [١]، وحق لمن علم هذه الآية أن يبتهل،وإذا نظرت إلى الأرض ذكرت:**﴿مِنْها خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ ومِنْها نُخرجُكُمْ تَارةً أخْرى﴾**[٢]

---

(١) سورة الذاريات: ٢٢.

(٢) سورة طه: ٥٥.

وحق لمن علم هذه الآية أن يعتبر، وإذا نظرت إلى اليمين ذكرت قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ اليمين ما أَصْحابُ اليَمِين** ﴾ (١)، وحق لمن علم هذه الآية ووفقه الله تعالى لعمل أهل اليمين أن يضحك، وإذا نظرت إلى الشمال ذكرت قوله تعالى: ﴿ **وأَصْحَابُ الشِّمَالِ ما أَصْحَابُ الشِّمالِ** ﴾ (٢)، وحق لمن علم هذه الآية أن يبكي.

فقلت: والله يا بُهْلُول إنَّك لحكيم، هل لك من حاجة؟ قال: نعم، أريد أن تشتري لي قميصاً نظيفاً، قلت: نعم- إن شاء الله تعالى- فذهبت إلى السوق وقد مُلِئْتُ سروراً، واشتريت قميصاً جديداً وأتيت به إليه، فضبَّه(٣) ورماه، وقال: لست أريد مثل هذا، فقلت: صفه لي يا بهلول، قال: نعم، أريد قميصاً من قُمُص أهل الإخلاص، وذوي البصيرة والاختصاص، محفوظاً من الدنس والانتقاص، زرع قطنه في حديقة مشرقة بأنواع الحقائق، محروسة من الاعتراضات والبوائق، سقي من السلسبيل، وحفظ من العطش بجبريل، فأينع بها وحَسُنا، وأثمر وأنبت قطنا، ثم لقط بأنامل الكرام البررة، والتاليين لسُورة "الحمد" و"البقرة"، حلج بأكف الوفا، على دفوف الصَّفا، بحركات العزم من غير خفا، ثم تخللته الأوتار المنفصلة بنور الأنوار، ثم

(١) سورة الواقعة: ٢٧.

(٢) سورة الواقعة: ٢٧.

(٣) ضبه: قبض عليه بكفه.

غزلته بنات طاهرات، ونساء خيرات ، بمغازل الحمد والثنا، والمحبة السابقة والاعتنا، فجعلت الجنة على نسجه ثواباً، وكان بين لابسه وبين النار حجاباً، ثم قصر الثوب بماء معين غدق، وطلعت عليه شَمْسُ النور والفلق، فسطع بياضه، وزال اعتراضه، وامتاز بحسن الصنعة والطراز، وأعجب كل تاجر وبَزار، فدفع إلى خياط مطبوع فى صنعته، بعيد المدى فى همته، صادق البكا فى عَبْرته، فنظر فى الثوب بفكره، وقاسه بشبره، وميز ما غاب من قدره، وأوقع فيه المقراض من غير شك ولا اعتراض، فجعل بدنه من حقائق الإخلاص، وقدر الكُمَّين كاملين بلا انتقاص، ثم علق البَيَانق، وألْصَق فيه النيافق، اتصال الحقيقة بالحقائق، وكان الخياط بربه واثقاً، للشك والظن مفارقا، ثم قص التدوير، وحاطه بلطائف التدبير، ثم فتح الجَيْبَ وأمَدَّه بشواهد الغيب، ثم صور الطوق، وزينه بلواعج الشوق، فاعتدل القبض من أسفل إلى فوق، فهل تقدر يا مالك على مثل هذا؟!!

فقلت: إنما يَقْدِرُ عليه من خَصَّكَ بوَصْفِهِ، وأهلك بمعانيه وكشفه، فصف لى لابسَهُ يَرْحَمُكَ الله!!

فقال: يلبسه قوم خصهم الله بأنواره، وكتبهم فى ديوان أبراره، وَحَباهُمْ فى أزل الآزال السابقة، وقواهم بالعزائم الصادقة، فأجسادهم بين أهل الأرض تسعى، وقلوبهم فى رياض الملكوت ترعى، لا يتكلمون بغير

ذكـره لفظـة، ولا يـنظرون لغـيره لحظـة، فهـم شـموس الناظريـن، وأقمـار الساهرين، بهم يعصم الله الجبابرة أو يُسلّمهم، ويرزق العباد ويرحمهم، ثم قام "البهلول" وقال: إليك فر الهاربون، ونحوك قصد الطالبون، وببابك أناخ التائبون، وعليك يتوكل المتوكلون، ليس لى قدرة على بعدك وجفاك، فأنلنى ما فيه رضاك، ثم تركنى وهو يُنْشِدُ:

رَضِيتُ بفقْرى فى هَوَاك وذِلّتى

وما ضرّنى عَيْشِى إذا ما تَكَـــدَّرا

فَمَنْ كان في الدُّنيا غَنِيًّا فإنّنـــي

فقيرٌ لمـن للكــل أغنـــى وأفقـــرا

إذاَ صَحَّ لى فقْرى إليـكَ وفاقتى

فقد رُحتُ أو فى النَّاسِ حظًّا وأوْفَرا

فلا أنَا في بَابِ المُلوك فيُعتدى

علـــىَّ ولا أمْرى إلى مَـنْ تَأمَّـرا

ولا مَالَ لى يُملى علَىَّ حِسَابَـهُ

ولستُ أبالى مَـنْ سَطـــا وتَجَبَّـرا

تم وكمل على يد كاتبه الفقير موسى الأزهرى المنشاوى غفر الله له آمين.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله تعالى

المحتوى

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٦٩٨٤ / ٢٠٠٣م